

د.أحمد خالد توفيق



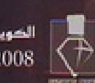
د. أحمد خالد توفيق

ستيفن كينج:

"بالإضافة إلى قصص عن الأحياء على كل كاتب رعب أن يقدم قصة واحدة على الأقل عن غرف الفنادق المسكونة، لأن غرف الفنادق أماكن مخيفة بطبيعتها، تخيل كم من الناس نام في الفراش قبلك؟ كم منهم كان مريضًا؟ كم منهم كان يفقد عقله؟ كم منهم كان يفكر في قراءة بضع آيات أخيرة من الكتاب المقدس الموضوع في درج الكومود بجوار الفراش قبل أن يشنق نفسه في خزانة الملابس بجوار التليفزيون؟"

بالفعل غرف الفنادق أماكن مرعبة، وأكثرها إرعابًا هي الغرفة **207**..

في هذه الغرفة تحتشد أشنع مخاوفك التي داريتها حتى عن نفسك منذ كنت طفلًا .. في هذه الغرفة يتلاشى الحاجز بين الحقيقة والوهم .. بين المألوف المشروعة والكابوس .. في هذه الغرفة يتلاشى الحاجز بين الماضي والمستقبل، وبين ذاتك والآخرين .. لا تتلصص ولا تختلس النظرات عبر ثقب المفتاح ..فقط فلتدر مقبض الباب في هدوء وحذر .. ولتدخل الغرفة رقم **207** ..



الكويت
2008

إشراف:

م. سعد راشد دخيل

جاسم أشكناني

تصميم الغلاف:

محمد العنزي

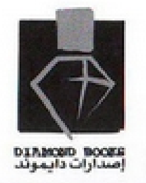
إخراج فني:

حسن ناصر الدين

بقلم:

د. أحمد خالد توفيق

www.ahmed-khaled.com



www.diamond-book.com

المقدمة

لك أن تصدق هذا أو لا تصدقه، لكني لم أقرأ قصة ستيفن كنج (١٤٠٨) إلا بعدما توقفت عن كتابة حلقات الغرفة ٢٠٧ ونشرها، وقد قرأت ١٤٠٨ مؤخرًا مترجمة ترجمة ممتازة قام بها الصديق (هشام فهمي) وصدرت عن دار ليلى. بالطبع لا يوجد تشابه بين العملين إلا في كونهما يتكلمان عن غرفة فندق غريبة الأطوار، لكني أحببت عبارة وردت على لسان ستيفن كنج في مقدمة كتابه يقول فيها: «بالإضافة إلى قصص دفن الأحياء، على كل كاتب رعب أن يقدم قصة واحدة على الأقل عن غرف الفنادق المسكونة، لأن غرف الفنادق أماكن مخيفة بطبعها. تخيل كم من الناس نام في الفراش قبلك؟ كم منهم كان مريضًا؟ كم منهم كان يفقد عقله؟ كم منهم كان يفكر في قراءة بضع آيات أخيرة من الكتاب المقدس الموضوع في درج الكومود بجوار الفراش قبل أن يشنق نفسه في خزانة الملابس بجوار التليفزيون؟»

هذه هي الفكرة التي تؤرقني في غرف الفنادق عامة. لقد شهدت هذه الغرفة ألف قصة وألف حياة، وأحسب أن كل من مر بها ترك جزءًا من هالته النفسية في هذه الغرفة. لا شك أن الوسادة تحمل رائحة أكثر من قاتل وأكثر من حسناء غريبة الأطوار وأكثر من طفل مختل شرير.

هكذا بدأت كتابة الغرفة ٢٠٧ وقد جربت فيها تيمات عديدة، فلا أكتمك سرًا أن البحث عن تيمة غير مطروقة في كل مرة كان عذابًا أليمًا، حتى سألت نفسي إن لم يكن من الأفضل أن تكون رواية ذات تيمة وفكرة واحدة لأريح وأستريح؟. لكن التحدي راق لي، وعرفت أنني نجحت إلى حد ما عندما بدأ أعنف نقادي وأقساهم -أنا- يرتبط بالفندق وجمال المحاسب العجوز وعم مينا ومصطفى وكل المضيفات اللعوبات

الرشيقات ورجال الأمن الخشنين طيبي القلب. حتى إنني صرت أتقمص شخصية جمال أثناء الكتابة وأسأل نفسي: «ترى من هو نزيل اليوم؟».

قلت إنني قرأت ١٤٠٨ للمرة الأولى بعدما كتبت هذه القصص، ولا تفسير لذلك عندي إلا توارد الخواطر. هناك مثال أغرب هو إنني فوجئت بعد نشر ثلاث حلقات من هذه القصص بفيلم مصري في مرحلة ما بعد الإنتاج اسمه (الغرفة ٧٠٧)!.. طبعًا لا يمكنك اتهامي بسرقة العنوان لأنني نشرت قصصي أولاً، ولا يمكن اتهام الفيلم المصري فلم يكن هناك وقت كاف لكتابة وتصوير وإنتاج فيلم في هذه الفترة القصيرة التي تلت بدء نشر قصصي، وقصة الفيلم على كل حال لا تمت بصلة لقصتنا هذه. لا شك أن هناك لغزًا يحيط بالغرفة ٢٠٧ فعلا!

والآن قف معي على الكاونتر.. افتح الدفتر... ارفع عينيك إلى النزيل الأول الذي يجتاز مدخل الفندق الآن.. ترى من هو؟.. ما حكايته؟.. ماذا تخبيء له تلك الغرفة؟

فلنر.....

فتاة وحيدة

هذه الغرفة ليست على ما يرام.. دعني أؤكد لك هذا برغم أنه لا قيمة له.. لقد تكلمنا كثيرًا عنها فيما سبق، وقلنا إنها حتمًا تمثل ذلك المعبر بين عالمنا وعالم آخر له مقاييس أخرى... كان هناك مصطفى عامل المصعد الذي قال إنها مسكونة وإنه لابد أن هناك من مات فيها ميتة شنيعة في زمن ما.. قلت له إن هذا مستحيل لأني في الفندق منذ تم إنشاؤه.. لقد حدثت أول حادثة بشعة بلا تفسير في تلك الغرفة عام ١٩٦١، وهي كفيلة بحق أن تجلب الشؤم على ألف غرفة، لكن ما الذي سبب هذه الحادثة؟.. لابد أن شيئًا كان موجودًا قبلها..

عم مينا الحاجب العجوز كان يرى أن تلك الغرفة هي إحدى أبواب الجحيم، وإنه يكفي أن يموت فيها أحد حتى ينفتح ذلك الباب الواسع لتدخل منه الأهوال.. أنا كنت أرى أن الموضوع يتعلق بالجان أو الشياطين.. على كل حال لم نفعل شيئًا.. كل ما استطعنا عمله هو أن تجنبنا تلك الغرفة كأنها باب الجحيم فعلاً... هناك عدد من الآيات القرآنية في الردهة وهناك صورة العذراء والصليب في الرواق المجاور كما علقهما عم مينا منذ ثلاثين عامًا.. يوم الجمعة نحرق البخور في الردهة.. لا نوصي بهذه الغرفة للنزلاء..

لكن المشكلة هي أننا تكلمنا أكثر من اللازم، وقد استدعانا الخواجة مايكل المدير إلى مكتبه، وكان يجيد العربية كأهلها كما تعلم، فوجه لنا الكثير من اللوم وعبارات السباب التي تشي بأنه درس العربية في أحياء بولاق.. كان له وجه بدين مترهل عملاق.. عملاق لدرجة لا تقدر على استيعابها لأول مرة.. ومما يضاعف التأثير أن جسده كان ضئيلاً، لذا كنت تشعر بأنه رأس مقطوع موضوع على المكتب.. تأثير هذا لم يكن محببًا على الإطلاق.. لقد ظل يرمقنا في صمت منذر بالويل.. ثم قال لنا في حزم وعيناه الزرقاوان تشتعلان غضبًا:

«هذا الكلام الفارغ يسيء لسمعة الفندق.. لو سمعت أن أحدكم تكلم أو وجه تلميحًا للنزلاء فلسوف يكون هذا آخر عهده بالعمل هنا..»

وهكذا ابتلعنا ألسنتنا.. اعتبرناه نوعًا من القسم الذي كان علينا أن نبر به.. عندما يكون ثمن الحنث بقسمك هو الطرد فأنت تبر به حرفيًا..

لقد تغير كل شيء منذ ذلك الحين..

رحل كثيرون.. حتى الخواجة مايكل عاد إلى إيطاليا، وعم مينا توفاه الله، ومصطفى في قريته بالمنوفية.. ربما مات.. لا أعرف...

فقط بقيت أنا.. كالصخرة التي ترتطم عليها أمواج البحر.. تظل هي باقية مهما حدث..

اسمي جمال الصواف.. أزحف في إصرار مريب نحو السبعين.. وحيد تماماً.. قد طلقت امرأتي منذ أعوام طويلة.. لا تسألني عن السبب فأنا لم أعد أذكره.. لا أذكر وجهها ذاته.. لابد أنها كانت امرأة بدينة طويلة اللسان لا تكف عن معايرتي وسب أمي.. لابد أن هذا كان السبب فلا أعتقد أن الخيانة الزوجية واردة.. هذه أشياء تراها في السينما أو تقرؤها في صفحة الحوادث..

اسمي جمال الصواف.. استطعت أن أحتفظ بصحتي قدر الإمكان ولعل هذه واحدة من مزايا الطلاق المبكر، فلا أعاني ارتفاع ضغط الدم ولا السكر، لكني إذ قبضت أناملي على أجهزتي الحيوية كي لا أنكسر.. انثنت عيني لتنزلق على الأرض.. هكذا لم أعد أبصر تقريباً.. لو انحنيت لالتقط عيني لسقط كفي أو قلبي.. لذا أقول.. فلتبق الأمور كما هي الآن..

اسمي جمال الصواف.. عجوز كأي عجوز آخر.. فقط ما زلت أحتفظ بشعر رأسي الذي صار أبيض تماماً.. ما زلت نحيلاً غير مترهل.. وجه مجعد رسم عليه كل يوم وكل همّ أخدودًا ما.. عينان رماديتان لكن هذا ليس لونهما بالطبع.. إنه ذلك الخليط العبقري من الكاتاراكت (السدة) والظفرة.. يمكنك بعد دقائق أن تدرك أن هذا الجالس أمامك لا يرى تقريباً..

منذ أعوام لم أعرف لي بيتًا إلا هذا الفندق.. أبيت فيه وآكل فيه، ولم أذهب قط إلى دمنهور مدينتي الأصلية منذ دهر.. أنا موظف الاستقبال هنا أو هكذا يفترض بي أن أكون، لكني أعرف أنه لا نفع مني على الإطلاق.. ما جدوى موظف استقبال لا يرى إلا خيالات أمام عينيه منذ خمسة أعوام؟.. كل مالك جديد للفندق لا يجرؤ على الخلاص مني.. يحتفظون بي على سبيل (البركة) ولأن راتبي لا يكلفهم شيئًا.. فقط هو طعامي.. هكذا يتركني المدير كما أنا ويفضل أن يترك مهمة الخلاص مني للموت أو للمدير القادم..

العمل الحقيقي يقوم به شاب نشط متحمس.. هم يذهبون ويأتون.. حاليًا هو شاب من إسكندرية اسمه رامي على ما أذكر، هو الذي يقابل النزلاء ويأخذ المفاتيح ويعيدها لهم ويدون الأسماء في الدفتر، بينما أكتفي أنا بالجلوس في الركن والقلنسوة الصوفية على

رأسي، وأتحدث عن البرد وعن أيام كان هذا الفندق مزارًا لعلية القوم.. أتأمل النزلاء بعينين لا تريان، وأضيف لذاكرتي قصصًا جديدة.. لكني برغم هذا كله، يجب أن تصدقني، لم أتلفظ بحرف عن الغرفة ٢٠٧.. ما زلت أحتفظ بوعدي للخواجة مايكل..

على كل حال لا أحد يبالي بهذه الحكايات.. الحركة سريعة جداً.. سرعان ما يظهر موظف الاستقبال الشاب هذا.. ثم تظهر تلك الضيفة الحسناء ذات المشية الراقصة والتنورة الضيقة.. عندها أعرف ما سيحدث.. لقد رأيته ألف مرة من قبل.. سوف يلاحقها ويتودد لها وهي تتمنع.. بعد قليل تسمح له بأن يمسك يدها.. ثم جولة على الشاطيء.. ثم الخطبة.. ثم الزفاف.. ثم طلبه منها ألا تعمل في الفندق.. ثم تركه للعمل وقبلة على خدي أو.. إذا كان عاطفيًا.. على يدي و..

ـادع لنا يا عم جمال..

هنا تتلاشى أخبارهما.. فقط ليظهر كاتب استقبال شاب جديد ومضيفة حسناء جديدة تلبس تنورة ضيقة.. سامي ومها.. أحمد وعفاف.. محمود وغادة.. رامي ومي.. رمزي وماريان.. عبد الله وعواطف..

كل الوجوه تتغير.. عامل المصعد عامل النظافة.. رجل الأمن.. لولا المبالغة لقلت إنهم يظهرون ويختفون أسرع من النزلاء أنفسهم.. لكني باقٍ كما أنا.. عم (جمال) العجوز البركة الذي لا يعرف أحد ما يفعله بالضبط، لكن الجميع يشعر بانعدام توازن لو لم يجدوه يومًا...

●●●●●

لن أخبرك بتفاصيل، لكن الفندق الذي أعمل فيه يوجد في مرسى مطروح.. يمكنك أن ترى البحر من شرفته، ويمكنك أن ترى الشارع الرئيس.. أنا لم أبح بأية أسرار ولم أعط تفاصيل مهمة، لأن هناك عدة فنادق تنطبق عليها هذه الصفات..

لا تعني الغرفة ٢٠٧ أن هناك ٢٠٦ غرفة قبلها، لكنه نوع من النصب الفندقي.. فقط يمكنك أن تستنتج أن الغرفة في الطابق الثاني.. أية غرفة رقمها يبدأ بـ(٢٠٠) توجد في الطابق الثاني.. هناك ممر طويل وبعض لوحات على الجدران ثم الغرفة ٢٠٧ التي تبدو بريئة جداً.. لو كانت هناك ملاحظة يجب أن يعرفها المرء عن تلك الغرف الشيطانية فهي أنها تبدو كأية غرفة أخرى..

في العام ١٩٦٧ دخلت الغرفة ٢٠٧.. لم تكن هذه آخر مرة..

عاملات التنظيف يدخلن الغرفة.. الكهربائي يدخلها.. هناك نزلاء كثيرون يدخلونها.. أحيانًا ما تكون هي الغرفة الوحيدة الخالية أو يكون النزيل ممن يتفاءلون برقم ٢٠٧ لسبب لا يعلمه إلا الله.. إنها تطل على البحر والمنظر من هناك مهيب.. لا ينبغي أن تجد شيئًا مرعبًا أو غريبًا في كل مرة، لكني دخلت تلك الغرفة في ظروف معينة وكان ما رأيته غريبًا..

لهذا قصة أحكيها لك.. فقط اقترب قليلاً حتى لا أرفع صوتي....

*****

في العام ١٩٦٧ لم يكن اسمي عم جمال.. كنت جمال الصواف الشاب فارع الطول أسمر اللون الذي يحمل بعض الوسامة ويقرأ كثيرًا جدًا.. لهذا كانت ثقافتي تفوق ما ينبغي لي أو ما يتوقعه الناس مني.. كنت أعمل في الاستقبال كما تعرف.. في الثامنة مساء جاءت تلك الحسناء الوحيدة تبحث عن غرفة.. اسمها كما وقعت في الدفتر كان شيرين محمود.. مصممة ديكور.. وقعت ثم نظرت لي وابتسمت.. قالت كلامًا كثيرًا عن أنها وحدها هنا.. وحدها تمامًا وعن أنها تسهر كثيرًا و... كنت أنا أملأ الأوراق بينما ذهني يحاول استنباط شيء من هذا كله.. لماذا تقول هذا؟... النتيجة التي توصلت لها كانت رائعة.. وعندما نظرت لعينيها وجدتها تنظر لي بتلك النظرة الثابتة كأنها تقول: نعم.. هو ما فهمته يا أحمق!

ما الغرفة التي اختارتها؟

اختارت الغرفة ٢٠٧ لأنها الغرفة الوحيدة الشاغرة في هذا المساء..

عند منتصف الليل لم يكن في ذهني شيء سوى تلك الحسناء الوحيدة التي قالت عيناها بوضوح إنها ترغب في أن تعرفني أكثر.. دعني أعترف لك بأنني لم أكن طاهر الذيل في شبابي وكانت لي مغامرات عدة.. لهذا ظل الرقم ٢٠٧ يتردد في ذهني ألف مرة.. وأخيرًا قلت لمصطفى أن يتولى أمر الاستقبال لأنني راغب في القيام بجولة.. كان مصطفى يتخذ مكانه جواري في الليل عندما تقل الحركة..

دخلت إلى المصعد وطلبت الطابق الثاني، ثم مشيت في الردهة.. ليست في ذهني أية تفاصيل عما يجب أن أفعله بعد ذلك.. من السهل أن أكون واهمًا أو أحمق.. ٢٠٣.. ٢٠٥.... ٢٠٧...

هذه هي!

وقفت خلف الباب غير عالم بما يجب أن أفعله بعد هذا.. هنا فوجئت بأن الباب موارب..

لا أعرف كيف ولا متى دفعته فانفتح، ولا كيف وجدت نفسي بالداخل.. كانت هذه هي المرة الأولى التي أجد نفسي فيها داخل هذه الغرفة.. لكني أعرف التصميم العام لكل غرف الفندق...

كانت الشرفة مفتوحة ويمكنني أن أرى البحر.. كتلة من السواد الغاضب الثائر يتناثر منها الزبد كما يتناثر من فم رجل ثائر.. هذا هو الشيء الوحيد المألوف في الغرفة..

فيما عدا هذا كانت هناك أشياء ووجوه.. أشعر أن الغرفة كانت بحجم ميدان.. هناك من يجلس ويتأمل.. هناك من يرقص في صخب.. هناك من يتلوى على الأرض.. هناك نيران.. هناك أمطار.. هناك غابات وأشجار.. هناك شلالات..

رأيت أسد الجبال يثب فوق ظبي شارد.. رأيت الديناصورات تخرج رؤوسها من أعماق المستنقعات.. من مكان ما جاء أبي الذي توفاه الله منذ عشرة أعوام.. كان ملفوفًا بالأكفان لكنه ما زال يحتفظ بذات النظرة الصارمة.. قال لي بصوت مبحوح:

«أنت لم تتغير.. جئت هنا من أجل فتاة!... عليك أن تفر ولا تعود أبدًا»

لكني لم أستطع الفرار لأن الغيلان أغلقت الطريق.. كانوا عاكفين على تمزيق رجل مجهول.. وشلال الدم يلطخ الجدران بينما من مكان ما طل الشيطان.. نعم.. الشيطان كما يرسمونه في الرسوم البيزنطية.. هو تحوير لصورة بان إله المراعي الإغريقي.. رائحة الكبريت تفعم أنفي وهو يقول لي والدم يسيل من شدقيه:

«أنت دخلت الغرفة ٢٠٧.. فعلت ذلك بكامل إرادتك!...»

هنا تظهر شيرين للمرة الأولى.. أدرك أنه لا بياض في عينيها.. لا يوجد سوى السواد.. لكنها هي.. تقول وهي ترفع كأسًا به سائل أحمر لزج قان:

«إنه لي!... لن تأخذوه مني.. لقد جاء هنا من أجلي..»

في اللحظات التالية رأيت هتلر وموسوليني ونيرون وهولاكو ونابليون وكل سفاح عرفه التاريخ.. رأيت براكين تنفجر فلا تخرج منها الحمم لكن الصديد.. رأيت أذرعًا تخرج من تحت البساط تحاول الإمساك بكاحلي.. رأيت طفلة تبكي جوار الجدار وظهرها لي فلما دنوت منها التفتت.. لم يكن لها وجه على الإطلاق... رأيت راقصة حسناء ترفع تنورتها فإذا بها تمشي على قدمي تيس..

رأيت نفسي ممددًا على ظهري بينما يلتف حولي كهنة الأزتك لينتزعوا قلبي النابض

قربانًا لإلههم كويتزالكوتل.. أنا أعرف هذه الأشياء فقد قرأت الكثير.. كنت مقيدًا إلى عمود خشبي في مدينة أمريكية ما.. لعلها سيلم.. بينما النيران ترتفع من حولي والأهالي المتعصبون يلوحون بقبضاتهم.. كان رأسي على المقصلة والرعاع الباريسيون يتصايحون مطالبين بإعدام الكلب الارستقراطي.. كنت أقف جوار زهران في دنشواي انتظر الأمر الذي يجعل المنصة تنزلق تحت قدمي لأتدلى من الحبل الغليظ...

رأيت ألف شيء ومت ألف مرة...

ولا أعرف كيف وجدت مقبض الباب ففتحته.. وسرعان ما وجدت نفسي في الردهة سليمًا..

كنت ألهث كثور ذبيح.. وكان العرق يغمرني.. لكني رأيت طفلاً طبيعيًا يركض في الردهة وهو يلعب بكرة فشعرت بأنني أستعيد روعي.. ليس تمامًا.. لقد تجاوزنا منتصف الليل فماذا يفعله طفل بكرة وحده في الردهة؟...

قررت أن ألقي نظرة أخرى على الغرفة دون أن أخطو داخلها..

دنوت من مقبض الباب.. أدرته.. كان الظلام دامسًا..

ثم اعتادت عيني الرؤية فرأيتها غرفة عادية جدًا من غرف الفندق.. مثل أية غرفة أخرى..

على الفراش كانت فتاة تغط في نوم عميق.. شيرين.. عرفتها من هيئتها العامة..

كل شيء على ما يرام.. كل شيء في موضعه.. لا يوجد ما يدل على أن الجدار انشق وأنني رأيت مستنقعات وبراكين وقبائل ومشانق...

أغلقت الباب وتراجعت..

هذه الغرفة غير طبيعية على الإطلاق.. ربما كانت هذه كلها هلوسة أو كانت نتيجة لعبث الشياطين.. النتيجة واحدة هي أنني رأيت الجحيم بعيني..

وعدت إلى منضدة الاستقبال شاحب الوجه.. قال مصطفى في ذكاء إنني شاحب الوجه.. لكم أمقت هذه الملاحظات الذكية..

كنت أحاول أن أثبت قدمي على أرض الواقع الزلقة.. أحاول أن أعرف من أنا وما الذي رأيته في هذه الليلة السوداء..

كان هذا عندما عادت شيرين من الخارج وهي مرهقة، تحمل كيسًا مليئًا.. عادت؟.. طبعًا.. هي لم تخرج لكنها عادت.. ما هو الطبيعي والتقليدي في كل هذا الذي حكيته؟

طلبت المفتاح مني.. إنه معلق هناك تحت رقم ٢٠٧.. لا مشكلة هنالك.. ثم إنها طلبت من مصطفى أن يشغل لها المصعد..

«معذرة.. الكيس ثقيل.. ثم إنني وحيدة هنا ولا أحد يساعدني..»

ونظرتْ لمصطفى نظرة ذات معنى.. نظرة أعرفها لأنني رأيتها من قبل..

سبب خبيث جدًا جعلني لا أتدخل ولا أحذره.. أردت أن يرى بعينيه ما رأيت ويحكيه لي من دون تعصب مسبق..

هكذا لمعت عيناه ونهض يتناول منها الكيس.. وسرعان ما كان قد فتح المصعد الذي كان قد عطله.. وسرعان ما كان يضيء الأنوار ويدعوها للدخول..

قبل أن ينغلق الباب لمحت بابتسامة غامضة توجهها لي.. ثم انغلق الباب وارتفع المصعد..

جلست نصف ساعة أحاول أن استجمع أعصابي.. صببت لنفسي الكثير من القهوة وأشعلت لفافة تبغ وجلست أتأمل شاشة التلفزيون الموضوع في الصالة بعينين لا تريان..

نصف ساعة كاملة تأخر مصطفى حتى بدأت أفكر جديًا في الصعود للغرفة أو طلب من يعاونني..

في النهاية تركت المنضدة كما هي ودخلت المصعد متجهًا إلى الطابق الثاني..

أين الغرفة رقم ٢٠٧ هذه؟.. ما زالت حيث هي إذن...

وجدت مصطفى جالسًا على الأرض جوار باب الغرفة وقد غطى وجهه بعينيه.. أقرب إلى طفل تركته أمه جوار باب المدرسة ولم تعد.. كان يرتجف ويبكي... صوته مرتفع جدًا...

لن تمر سوى دقائق حتى يخرج الجميع من غرفهم.. هكذا جثوت على ركبتي جواره ورحت أهدئ من روعه.. كان قد فقد التحكم تمامًا في عضلاته، وأدركت أنه فقد التحكم في جهازه البولي كذلك..

قال من بين عبراته وأنّاته:

«لم يحدث شيء.. أقسم بالله أنه لم يحدث شيء..»

«ما الذي لم يحدث؟»

«كيف أعرف؟.. قلت لك إنه لم يحدث..»

الفتاة دعته إلى الغرفة.. طلبت منه أن ينتظر حتى تدخل الحمام.. وقف هو في منتصف الغرفة يقنع نفسه بأنه أكثر ملاحة مما يعتقد.. لقد خلب لبها في دقائق..

تأخرت الفتاة أكثر من اللازم.. في الحقيقة تأخرت ما يقرب من نصف ساعة.. هكذا استجمع شجاعته ودق باب الحمام عدة مرات.. لا رد.. مد يده وفتح الباب.. وفي الضوء الخافت أدرك أنها تقف أمام المرآة وظهرها له..

لم يجد الوقت الكافي إلا ليناديها مرة واحدة.. يا آنسة..

عندها استدارت له.......

و.....

●●●●●

في التاسعة صباحًا جاءت شيرين محمود إلى فندقنا تطلب غرفة.. جاءت من الخارج وهي تحمل حقيبة ثقيلة، لم يكن هذا غريبًا.. لقد صارت عادتها أن تأتي من دون أن تذهب.. تدخل من دون أن تخرج..

تبادلت النظرات مع مصطفى [illegible] يوشك على الصراخ والانفجار لكنه تمالك نفسه.. قلت للفتاة في صبر مستجمعًا كل ما أملك من أعصاب:

«طبعًا أنت مهندسة ديكور وتشعرين بوحدة؟!»

وضحكت ضحكة خبيثة لكنها قالت في برود:

«هذا ليس من شأنك»

فتحت الدفتر بحثًا عن اسمها.. لم أجده!.. لا توجد غرفة شاغرة إلا الغرفة رقم ٢٠٧.. لكننا نعرف ما يوجد في هذه الغرفة.. مصطفى رأى بوضوح ما يوجد فيها.. أوشك على الإصابة بصدمة عصبية.. ولقد ظللنا نصف ساعة جالسين على الأرض في الردهة نرتجف ونقسم أننا لن ندخل هذه الغرفة أبدًا بعد اليوم (وهو قسم حنثت به مرارًا بعد هذا)..

مصطفى لامني كثيرًا على إنني لم أنقذه.. قال إنني (مش جدع)، وإنني تركته يرى أشنع مشهد رآه في حياته.. مصطفى فكر في الاستقالة.. في طلب الشرطة.. في طلب المطافئ.. في إخبار المدير.. لكني ثنيته عن كل هذه المشاريع المجنونة.. لن يصدقنا أحد وعلى الأرجح سنجد في الغرفة فتاة طبيعية باسمة هادئة لا تعرف أي شيء عن كل هذا..

رفعت سماعة الهاتف وطلبت خادمة الغرف وطلبت منها أن تفتح الغرفة ٢٠٧ وتنظفها..

لو كانت شيرين هناك.. مع إنها أمامي هنا.. فلسوف نعرف ذلك حالاً..

ابتسمت للفتاة الواقفة أمامي وقلت:

«أرجو أن تستريحي بعض الوقت حتى يتم إعداد الغرفة..»

نفخت من بين شفتيها في تململ واتجهت إلى أحد المقاعد الوثيرة وجلست عليه..

ممثلة بارعة.. كأنها ترانا للمرة الأولى..

بعد ربع ساعة رفعت سماعة الهاتف أطلب خادمة الغرف.. فقالت إن الغرفة جاهزة.. سألتها عما إذا كان هناك شيء مريب فلم تفهم سؤالي أصلاً.. قالت إن كل شيء على ما يرام..

هكذا انطلقت الفتاة إلى المصعد بينما ظل مصطفى حيث هو يرمقها في رعب بعينين متسعتين مجنونتين..

«لن يصحبني أحد إلى الغرفة؟.. أي نوع من الفنادق هذا؟»

قلت لها بلهجة ذات معنى:

«حسبتك تعرفين المكان..»

قالت في ضيق:

«ما الذي تلمح له؟.. أنا لا أفهم معظم كلامك لكنه مستفز.. خذ الحذر في التعامل معي وإلا شكوتك للإدارة..»

هكذا نهض مصطفى إلى المصعد وقد بدا كأحد الذاهبين إلى المشنقة.. ولمحت في عينيه لحظة انغلاق الباب نظرة استغاثة..

هذه الفتاة مصممة على أن تجن.. المشكلة أنه لن يصدق أحد على الإطلاق ما رأيناه ليلة أمس.. لا يمكن طلب العون أو النجدة أو أي شيء..

علينا أن نتحمل وأن نقاوم أي إغراء لدخول تلك الغرفة..

عندما عاد لي مصطفى بعد عشر دقائق جلس منهكًا يلتقط أنفاسه وقال:

«بنت الـ(...).. قمة في البراءة.. تتصرف كأنها لا تعرف أي شيء عنا ولا عن الفندق..»

«لابد أنها تعد مقلبًا ما لنا..»

كانت نوبتجيتنا قد انتهت على كل حال.. لذا صعدت إلى غرفتي والتهمت وجبة الإفطار التي تركوها لي على الباب ثم غبت في نوم عميق.. لم يكن عميقًا جدًا لأنني رحت أتلقى زيارات من الشيطان ومن كل الغيلان التي رأيتها أمس.. كنت أرى أمي تقف أمام مرآة الحمام وظهرها لي ثم تلتفت وتقول: ابني حبيبي!.. فأكتشف أنها لا تمت لأمي بصلة.. كنت أنهض صارخًا ثم أرى نور الصباح يغمر الغرفة فأهدأ قليلاً..

فقط كانت كل كوابيسي تحمل رقم ٢٠٧.. رقم ٢٠٧ يتلاعب في كل صوب وفي كل اتجاه..

ولم أكن في ذلك الوقت أحمل شيئًا من التوجس نحو الغرفة.. كنت أخشى الفتاة كالموت لكني كنت أعتقد أن الغرفة بريئة..

كنت أستجمع كلمات مصطفى عما رآه عندما رأى الفتاة أمام المرآة:

«لم يكن هذا وجهًا بشريًا.. كان شعرها ملتفًا كأسلاك الكهرباء.. عيناها ليستا في المحجرين وهناك شرر يخرج منهما.. جلدها بلون الفحم.. لقد كان أشنع ما رأيت في حياتي»

بدا لي هذا خيالاً ساذجًا مريضًا لكني لم أستطع السخرية منه.. أنا كنت في الغرفة ورأيت أشياء عجيبة بدوري..

قال مصطفى بعد أن أنهى قصته:

«الفتاة جنية.. هذا مؤكد.. في قريتي يحكون أشياء مماثلة.. كل الجنيات يحاولن إغراء الشباب مثلي.. الشباب (اللي زي الورد).. فإذا خضع لهن الشاب كانت نهايته»

لم يكن رأيي أنه (شاب زي الورد) أولاً.. ثم إن معظم هذه القصص من تأليف الأمهات والخالات والعمات، وهي مناسبة لهن نفسيًا.. عندما تظهر فتاة حسناء تخطف رجل البيت الشاب ليصير العوبة بين أناملها.. هذه الفتاة بالنسبة للأمهات والعمات والخالات لا يمكن إلا أن تكون غولة أو جنية.. سل أية أم عن رأيها في زوجة ابنها ولسوف تؤكد أنها إلى الشياطين أقرب.. إنه رجل القبيلة وعليها أن تحميه من أن تخطفه أنثى من قبيلة أخرى..

حتى المساء لم تحدث أشياء غريبة.

عادت شيرين من جولة على الشاطئ، وكانت فاترة جدًا معنا.. أخذت المفتاح بوجه جامد كالصخر، ثم سألتنا عن قابس الحمام الذي لا يعمل..

«هل يمكن أن ترسلوا من يصلحه؟»

قال مصطفى دون أن يرفع عينيه عن المنضدة:

«نعم.. نعم.. وأنت ستكونين في الحمام أمام المرآة طبعًا»

نظرت له وتقلص وجهها في قرف.. ثم نظرت لي وقالت:

«أية مرآة وأي حمام؟.. أنتما مخبولان تقولان كلامًا لا أفهم حرفًا منه..»

ثم قالت في حزم:

«لو لم يأت فني الصيانة أو الكهربائي ليصلح هذا الخلل الليلة فلسوف أشكوك أنت..»

ثم انصرفت..

تبادلت النظر مع مصطفى.. هذه هي قصة الليلة.. سوف تبعث (الشبراوي) كهربائي الفندق لغرفتها ولسوف يعود صاحب الوجه يحكي لنا قصة مرعبة أخرى..

على أنني بعد ساعتين خشيت من أن تسبب لنا هذه المخبولة مشاكل أكثر لذا اتصلت بالفني طبعًا، وطلبت منه أن يصحب معه مساعدًا.. المهم ألا يكون وحده.. فهذه الفتاة على قدر من الجنون..

لا داعي لأن أحكي ما حدث بعد هذا.. كيف اتصل بي الكهربائي مذعورًا.. كيف جريت إلى الطابق الثاني.. كيف دخلنا الحمام لنجد الفتاة على الأرض المبللة.. كانت ترتدي الروب ويبدو أنها أخذت حمامًا ثم قررت أن تجفف شعرها بالسيشوار.. كيف قامت بتثبيت الفيشة كيفما اتفق في قابس تالف.. كيف تلقت صدمة كهربية على قدمين حافيتين فوق بلاط مبتل.. كيف سقطت على الأرض وكيف بدا وجهها..

«لم يكن هذا وجهًا بشريًا.. كان شعرها ملتفًا كأسلاك الكهرباء.. عيناها ليستا في المحجرين وهناك شرر يخرج منهما.. جلدها بلون الفحم.. لقد كان أشنع ما رأيت في حياتي»

هذا يفسر الشرر.. والوجه الذي يراه مصطفى الآن هو ذات الوجه الذي رآه أمس..

●●●●●

وعندما انصرف رجال الشرطة وهدأت الضجة، جلست مع مصطفى في الاستقبال، مكاننا المعتاد، نناقش ما حدث..

الغرفة رقم ٢٠٧ لم تخف أسرارها.. لقد أخبرتنا بالضبط بما سيحدث عند منتصف ليل الغد.. ما رآه مصطفى كان رؤيا واضحة لما سيراه... كانت هناك فتاة اسمها شيرين.. فتاة ستقيم في الغرفة ٢٠٧ وسوف تلقى نهايتها فيها.. الغرفة قدمت لنا ذات العرض قبله بأربع وعشرين ساعة.. بل إنها جعلت مصطفى يرى وجه الفتاة لحظة موتها..

الفتاة التي جاءت في التاسعة صباحًا كانت شيرين الحقيقية.. شيرين التي لا تعرف أي شيء عما رأيناه، وليست لديها أية فكرة عما ينتظرها.. كنا نتكلم في غموض وخبث لكنها بالفعل لم تملك أية فكرة عما نتكلم عنه... حسبتنا وغدين ينتظرانها..

لم يكن الخطأ في الفتاة..

الخطأ كان في الغرفة..

الغرفة التي قال مصطفى إن هناك من مات فيها ميتة شنيعة في زمن ما، وقال عم مينا المحاسب العجوز إنها أحد أبواب الجحيم.. وأنه يكفي أن يبيت فيها أحد حتى ينفتح ذلك الباب الموارب لتدخل منه الأهوال.. ورأيت أنا أن الموضوع يتعلق بالجان أو الشياطين..

الغرفة ٢٠٧.. التي كانت لي معها قصص عديدة ليست هذه بآخرها ولا أشنعها.. فقط انتظروا لقاءنا القادم لتعرفوا أكثر.

لعب عيال

ربما لم تكن هذه آخر قصصي مع الغرفة ٢٠٧ ولا أولها..

ذكرياتي مع تلك الغرفة يوم طويل متصل لا أذكر شيئًا عن تلاحق أحداثه.. والأهم أن أحدًا لا يبالي البتة بما أحكيه.. كلما حكيت هذه القصة لضيفة جديدة أو شاب يقف معي في الاستقبال ابتسمتْ أو ابتسم في تهذيب.. هذه الابتسامة يعرفها الشيوخ المخرفون جيدًا.. ابتسامة تعني: «أنا لا أصدق حرفًا مما تقول، لكنك في سن أبي وعلي ألا أظهر علامة على السخرية.. أنت في سن أبي وأنا قد تربيت جيدًا.. أنت في سن أبي وإظهار تصديقي لك نوع من الزكاة.. احتياط حتى لا يفعل معي أبنائي نفس الشيء يومًا»

كنت أعرف أن الغرفة مسكونة، لكنها سوف تعلن عن أحد أسرارها قريبًا جدًا.. غرفة بهذه الطباع العصبية لن تبقى صامتة للأبد..

وقد كان...

●●●●●

الأسرة التي جاءت لتقيم في الفندق في ذلك اليوم، وكان يوم خميس، كانت تتكون من عدة أفراد.. زوج وزوجة.. ثلاثة أطفال.. ثم امرأة وحيدة..

الزوج من الطراز الذي يمكن تلخيصه بـ (بدين، أصلع، شارب، مرح)، وهو طراز ينتجونه بالجملة في مكان ما. لكن هذا الطراز كذلك يمكن أن يكتئب ويكون اكتئابه قاسيًا.. هذه أمور تتعلمها من ملاحظة الناس، وتتعلمها من الكتب.. يبدو أنهم يطلقون على هذا الطراز (العصاب الاكتئابي الانبساطي) أو شيئًا من هذا القبيل.. الزوجة نحيلة جدًا عصبية شاحبة كان الزوج يلتهم طعامها بلا انقطاع.. هذه سمة أخرى شبه دائمة لزوجات هذا النوع من البشر..

الأطفال لا يميزهم شيء.. أطفال صاخبون مزعجون وقحون، تتراوح أعمارهم بين الخامسة والحادية عشرة.. أما السيدة النحيلة فهي سيدة نحيلة.. يمكن بشيء من الذكاء أن تدرك أنها أخت الزوجة.. نحيلة جدًا عصبية مثل أختها، لها وجنات بارزة وبشرة شاحبة

تشي بالمرض.. مشكلة هؤلاء الذين يصابون بنحول شديد هو أن عيونهم تحتفظ ببريقها واتساعها.. عندما يهزل الوجه وتضمر الجفون تصير هاتان العينان جاحظتين ثاقبتين مخيفتين..

قال لي الزوج وهو يخرج بطاقته العائلية إن اسمه (رأفت عبد الباقي).. مهندس من القاهرة.. المدام... وأخت المدام..

كانوا قد حجزوا هاتفياً غرفتين منذ زمن.. اختار هو وزوجته الغرفة رقم ٢٠٥.. الغرفة ٢٠٧ سوف تقيم فيها أخت المدام..

ثم أشار إلى طفلته التي في التاسعة من عمرها وقال:

«(لبنى) ستقيم مع خالتها. إنها مولعة بها..»

ترتيب لا بأس به.. أي أنه وزوجته مع طفلين سوف يقيمون في غرفة، بينما تقيم الخالة وطفلة واحدة في غرفة أخرى.. قرعت الجرس كي يحمل (مصطفى) الحقائب إلى المصعد..

«٢٠٥ و٢٠٧ يا مصطفى»

نظر لي نظرة ذات مغزى وهو يحمل الحقائب.. لا أحد منا يجرؤ على التشكك في الغرفة ٢٠٧ لكننا ننزعج كلما سمعنا الرقم..

فقط تمهل الطفل الأكبر قليلاً ليتفحص أحد التماثيل في اللوبي.. ثم عبث بمزهرية فكاد يهشمها.. وجدت أن أبويه بعيدان، فغادرت الكاونتر ووقفت جواره وقلت همسًا وعيناي تشعان نارًا:

«لو تحطم شيء هنا فلسوف أحطم رأسك..»

نظر لي في تحد وقال من بين أسنانه:

«فلترني ذلك!»

هنا عرفت أنني سأقاوم بشدة رغبتي في أن ألقي هذا الشيطان في بئر المصعد.. الأطفال مزعجون بما يكفي، ولكن ماذا عن الطفل المزعج الوقح؟..

هنا سمعت الأم تنادي بصوت رفيع مرتعش:

«كمااال!.. تعال هنا»

اسمه أكمل؟.. سوف أطلق عليه في سري اسم (النقص)، وأمضي الليلة في تخيل عملية قتله والتخلص من جثته.. ليس قتله هو المطلوب فحسب بل يجب أن يعرف أنه سيموت!!

هكذا عدت إلى عملي المعتاد ونسيت كل شيء عن هذه الأسرة، وهم لم يغادروا الفندق في تلك الليلة على كل حال..

فقط في الحادية عشرة مساء اتصل بي أحد النزلاء في الطابق الثاني، وقال مغضبًا:

«لماذا لا تفعلون شيئًا لهؤلاء الشياطين؟»

«أي شياطين؟»

«الذين يتسابقون في الردهة!.. هناك ستة أطفال لا يكفون عن الركض والصراخ ولعب الكرة في الممرات..»

كان (بيومي) رجل الأمن المنوفي واقفًا على الباب يدخن لفافة تبغ في الهواء الطلق، فناديته وطلبت منه أن يصعد ليزجر هؤلاء الصبية بالطابق الثاني..

عاد بعد قليل وهو يسب ويلعن، معلنًا أن القيامة ستقوم هذا الشهر على الأرجح..

«عيال في منتهى قلة الأدب..»

كنت مشغولاً في تدوين بيانات نزيل جديد، فهززت رأسي موافقًا.. أردف:

«أطفال ثلاثة نزلاء قد احتشدوا معًا وكونوا عصابة حقيقية.. يلعبون الكرة.. يصرخون ويتصارعون ويدقون على كل الأبواب.. لقد حاولت السيطرة عليهم فلما فشلت طلبت من كل أسرة أن تربي ولدها جيداً.. الغريب أن الآباء لا يهتمون، وقد غضبوا لأنني طلبت منهم التدخل.. إنها حمية الجاهلية: فليخطئ ابني كما يشاء وليس من حق أحد لومه أو نصحه..»

هززت رأسي من جديد وغمغمت:

«حمية الجاهلية.. نعم.. نعم..»

لكني نسيت الأمر بعد دقائق.. ليست هذه أول مرة يحدث فيها شيء كهذا. فلا تنس أنني موظف استقبال مخضرم..

في الثانية بعد منتصف الليل حدث شيء غريب..

كنت نائمًا على المكتب، عندما سمعت صوت صخب وضوضاء.. رفعت رأسي فوجدت ذلك الصبي (أنقص) المزعج يركض وهو يبكي ويولول نحو باب الفندق.. كان يعتزم الخروج..

نهضت وركضت وراءه واستوقفته عند الباب الزجاجي.. لكنه كان في حال غير طبيعية.. المخاط يبلل وجهه مع الدموع.. وأوشك على أن يعض يدي التي تمسك بمعصمه..

ثوان ثم ظهر الأب قادمًا من مكان ما..

سره أنني قبضت على الصبي.. ولكنه كان راغبًا في ألا يشرح أي شيء وأن ينتهي الموضوع سريعًا..

«لا مؤاخذة.. سوف أتولى الأمر..»

سألته في غباء:

«هل من مشكلة ما؟»

قال بسرعة وهو يجر الصبي كأنه [illegible]:

«لا مشكلة.. لعب عيال كما تعرف..»

لكن الصبي نظر لي نظرة أخيرة مستغيثة قبل أن يلحق بأبيه في المصعد.. وانغلق الباب ومعه انغلق كتاب أسرار عائلية لا أعرفها ولا يهمني أن أعرفها..

البيوت أسرار.. لكني على كل حال كنت سعيدًا بأي شيء يثير ذعر ويبكي هذا الصبي المشاغب..

ونظرت إلى موظف الأمن الذي كان غافيًا فأيقظته الضجة.. قال لي وهو يتثاءب:

«خليهم يتربوا!»

ثم عاد إلى النوم راضيًا عن مستقبل الطفولة في مصر..

عدت إلى الكاونتر وفتحت جهاز التلفزيون العتيق الذي لا يقدم إلا القناة الأولى مهزوزة.. دعك من أننا كنا في عصر ما قبل التلفزيون الملون، هنا وجدت أن الإرسال قد انتهى.. أطلقت زمجرة، وأغلقته وعدت إلى المنضدة لأتوسد ذراعي من جديد..

كنت في عوالم أخرى.. ربما كنت في دمنهور مع أبي وأمي.. ربما كنت في فرنسا مع (مارلين) الحسناء أيام سفر الطلبة إياها.. ربما كنت في القبر.. المهم إنني لم أكن هنا..

وكما يحدث لمن يناموں بعمق تسللت تلك اليد الصغيرة إلى الحلم لتكون من مكوناته.. كان هناك طفل في الحلم يهزني بلا انقطاع، ويكرر: عمو.. استيقظ يا عمو..

ثم عدت لعالم الواقع لكن اليدين ظلتا معي.. حينما فتحت عيني كان (أنقص) هناك جوار الكاونتر ينظر لي بعينين مشعثتين مذعورتين..

كان مرتديًا منامته وحافي القدمين.. الأمر الذي جعلني أوقن أننا بصدد ما هو أكبر من لعبة أطفال..

قال لي بنفس العينين المتسعتين:

«عمو.. أنا خائف»

●●●●●

القصة التي حكاها (أنقص)، الذي كان (أكمل) قبل أن يثير غضبي، كانت كالتالي:

لقد لعب كثيرًا في الردهة أمام الغرفة بينما كان أبوه وأمه منهمكين في تفريغ الحقائب، وانتقاد الغرفة.. [illegible] كانت منهمكة في غرفتها..

لعب مع أخته وأخيه الأصغر سنًا وبحكم السن كان هو الأوسع تجربة والأقوى شخصية كأنه يكبرهما بقرن... خرجت الكرة الصغيرة من مكان ما، وبدأ الجري والصياح والصراخ في الممرات.. بعد قليل انفتح باب الغرفة المجاورة وخرج صبي في التاسعة.. وقف يرمقهم وفي عينيه شقاوة، ثم انضم للعب دون أن يطلب الإذن.. بعد قليل خرجت فتاة من غرفة أخرى ففتاة أخرى..

سرعان ما صار هناك فريق كامل من المتحمسين يجرون ويصيحون ويتبادلون قذف الكرات..

انفتحت أكثر من غرفة ليظهر وجه رجل غاضب محمر الخدين:

«بس يا ولد..!»

أو امرأة غاضبة تلف شعرها بشبكة:

«اتربى يا حمار!»

وهي أساليب تربوية ليست ذات نفع كبير.. وقد صعد لهم موظف الأمن لكنه قوبل بلا مبالاة، وعندما شكا للأهالي حدث ما يحدث مع كل مصري.. ابني يفعل ما يشاء وقتما يشاء..

هكذا بقي الوضع على ما هو عليه، وإن بدأ الأهل يتعبون وأغلقوا عليهم الحجرات.. حركة الأطفال قلت بدورها أكثر وإن ظل النعاس بعيداً عن عيونهم.. السبب؟.. لأنهم شياطين جديرة بالحرق..

خرجت الخالة النحيلة من الغرفة ٢٠٧ وصاحت في الطفلة (لبنى):

«بنت يا لبنى..!.. ألن تأتي للنوم؟»

توسلت لها (لبنى):

«فقط اتركيني بعض الوقت يا خالتي.. لا أشعر بنعاس»

نظرت لها المرأة في حدة، ثم أغلقت الباب وهي تقول بلهجة غير رقيقة على الإطلاق:

«ليكن.. لكن لو نمت ولم أشعر بك فعليك أن تنامي مع أمك»

ودوى صوت المزلاج وهو ينغلق خلف الباب..

لكن الأم والأب كانا يفتقران إلى الحزم.. ربما انهمكا في شيء آخر.. المهم أنهما تركا الأطفال على راحتهم..

كان الأطفال الآن محمرّي العيون يبحثون عن لعبة مثيرة جديدة.. نوم الكبار يشعرك بأن الدنيا انتهت وأنه لم يعد هناك سوى الملل.. كانوا الآن يلعبون في الردهة المجاورة.. ابتعدوا عن الغرفتين كثيراً على كل حال فلم يعد أحد يراهم..

قال لهم (أنقص) هامساً:

«اسمعوا.. عندي فكرة..»

وارتسمت على وجهه ضحكة شيطانية..

●●●●●

كان (أنقص) قد دخل غرفة الخالة ظهر اليوم وفهم جغرافيتها جيداً كأي لص محترف..

هناك باب بالحجرة يطل على شرفة.. والشرفة طويلة تحتل جانب الفندق بالكامل.. أقرب إلى الممر الذي يصل بين الغرف كلها.. فقط هناك فاصل من الطوب بين نطاق كل غرفة وجارتها، فوقه شبكة خشبية ترتفع متراً عن الأرض.. هذا يشكل عقبة بالنسبة لإنسان مهذب متحضر، لكنه لا يشكل أية عقبة بالنسبة للص أو طفل شيطاني له طباع لص..

هناك مدخل للشرفة في البهو.. تدخل فتجد ذلك الحاجز الوهمي عن يمينك وعن يسارك.. والبحر أمامك..

هكذا قال للأطفال:

«سوف نلعب لعبة على خالتي.. إنها عصبية جداً تؤمن بالعفاريت والجان.. لديها قصص لا تنتهي عن هؤلاء الذين تقابلهم في دورة المياه.. على السلم.. في المطبخ.. بالنسبة لها ليس هناك مكان من دون عفريت..»

سألته طفلة في العاشرة:

«وهل هناك عفاريت حقاً؟»

فكر حيناً ثم قال:

«أبي يقول إن هناك عفاريت.. لكنه كذلك يمنعنا من أن نتكلم عن الموضوع.. يضربنا إذا ذكرنا هذه الأشياء..»

«وهل يضرب خالتك؟»

«لا يقدر على ذلك لأنها كبيرة.. ثم إنها عصبية.. أعتقد أنها تستطيع ضربه..»

هنا سأله طفل آخر:

«هل والدك يحب خالتك؟»

«لا.. يقول لأمي إنها مصرة على أن تصحبها في كل مكان معنا.. هو متضايق من ذلك»

ثم نظر إلى لبنى أخته محذراً:

«لو قلت كلمة من هذا لخالتي سأكسر دماغك»

ثم نظر إلى الأطفال وقال في حسم:

«هيا بنا»

●●●●●

هكذا تسللوا إلى الشرفة العامة.. كان البحر يهدر من بعيد كوحش مجنون لا يهدأ ولا يريد أن يهدأ.. في الظلام يبدو البحر أكبر من الواقع.. أكبر من الحياة ذاتها..

كانوا قد بدأوا يرتجفون عندما تسلق (أنقص) ذلك الحاجز بين الشرفتين.. لا.. لم يكن هناك من خطر على حياته.. إن سقط لن يسقط من أعلى.. فقط هي عملية تحتاج إلى قدر من اللياقة والحذر حتى لا تمزق ثيابك..

أخيرًا وثب إلى شرفة الغرفة ٢٠٧.. واستدار إلى رفاقه الذين يقفون في الجزء العام من الشرفة وطلب منهم أن يحذوا حذوه..

هكذا تواثب الأطفال جميعًا وهم يحبسون أنفاسهم من الإثارة إلى الشرفة..

كان باب الشرفة مواربًا.. لم يكن مغلقًا..

من الداخل هناك إضاءة خافتة... شيء ما يتحرك...

دنا (أنقص) من الفتحة التي لم تكن تسمح إلا بواحد ينظر..

هنا انتفض كأن ثعبانًا لدغه..

التفت إلى الأطفال وصرخ بصوت هامس:

«هيا!.. فلنعد بسرعة!»

تراجع الغزاة الصغار من دون نظام وهم لا يفهمون ما هنالك.. من أراد أن يسأل تلقى أمرًا بأن يخرس ويجري..

وسرعان ما كان الجميع يتسلقون عائدين إلى الشرفة..

(أنقص) كان يرتجف ويبكي بلا انقطاع..

وعندما التفوا من حوله يسألونه عما هنالك لم يرد.. فقط قال لهم:

«إنه شيء مريع.. مريع»

ثم تركهم وجرى نازلاً إلى الاستقبال..

بعد قليل لحق به الأب عندما حاولت منع الصبي من الخروج إلى الشارع..

●●●●●

قربت رأسي من الصبي المذعور ونظرت في عينيه الواسعتين وسألته ضاغطًا على كلماتي:

«وماذا رأيت؟»

«هه؟»

«ماذا كانت خالتك تفعله؟»

قال وهو ينظر إلى الفراغ:

«كانت جاثية على ركبتيها.. يقف أمامها كائن عملاق.. كان ارتفاعه كهذا الباب.. له مخالب وجناحا وطواط.. لم أر وجهه لكني أعتقد أنه يشبه الشيطان ذاته.. إضاءة الغرفة لم تكن طبيعية.. عيناها كانتا متسعتين مليئتين بالشر والتوحش.. كانت تركع أمامه.. تقدم له فروض الولاء.. في هذه اللحظة شعرت بأن هناك شيئًا ما.. رأيت عينيها تستديران لي.. عينان حمراوان بلون الدم.. ثم كشرت عن أنيابها.. لم أر أسنانًا بيضًا بهذا الشكل من قبل.. كان منظرها أقرب إلى ذئب غاضب.. ثم شعر الشيء باتجاه نظراتها فنظر إلى الخلف.. أعتقد أنه رآني.. أعتقد أنه عرف من أنا..»

ثم انفجر الصبي المسكين في البكاء..

لو كان من يسمع القصة واحدًا غيري لضحك واتهم الصبي بالسخف.. لكني أعرف أولاً أن هذه الدموع حقيقية.. حتى سير لورانس أوليفييه نفسه لن يمثل بهذه البراعة.. لن يستدعي الدموع بهذه السهولة.. كلا.. الصبي لا يلعب معي لعبة سخيفة.. هذا مؤكد.. ثانيًا أنا أعرف الغرفة ٢٠٧ اللعينة.. لو كانت لدى تلك المرأة أية علاقة بالشياطين أو الجان فالغرفة ٢٠٧ هي المكان الأنسب لظهور هذه الموهبة.

لقد شعرتُ به.. كلنا شعرنا به.. ذلك الشيء الغامض الجاثم كالكابوس على الغرفة ٢٠٧..

كان من حظ الصبي العاثر أن اختار هذه اللحظة بالذات ليداعب خالته الحبيبة..

قال لي بعينين دامعتين:

«أنت لا تصدقني يا عمو»

داعبت شعره وقلت:

«بل أصدقك يا بني.. أصدقك جدًا»

●●●●●

سألت الصبي:

«هل أخبرت أباك بما حدث؟»

قال إنه لم يجسر.. كان يشعر بذعر جعله لا يثق بأحد.. فقط أراد أن يفر بلا تعقل وبدون أن يعرف إلى أين.. هو يعرف إجابة أبيه على كل حال: (عيب يا ولد)..

الكبار لا يصدقون هذه الأمور.. ربما لأنهم أغبياء.. ربما لأن خيالهم قد مات..

عدت أسأله:

«كيف جئت هنا؟»

قال وهو يرتجف:

«لقد أغلقوا الحجرة وأخلدوا للنوم.. لكني ظللت في الظلام أتذكر ما رأيت.. ثم تذكرت شيئًا: لبنى مع خالتي في ذات الغرفة المجاورة!... أصابني الهلع ولم أعرف ما أفعله.. تسللت من الحجرة حافي القدمين وجئت هنا»

نعم.. لابد من عمل ما.. لكن ما هو؟

قبل أن أفكر وجدت الأب قادمًا.. يفرك عينيه ويضع الروب على منامته وقد بدا عليه التوتر.. قال لي في حرج:

«فعلاً أنا آسف على كل ما سببناه لكم.. لابد أنكم لم تروا زبائن مثلنا..»

كان مهذبًا لكن نظرة جانبية للطفل قالت لي إنه ينتظر صابرًا حتى ينفرد به.. عندها يزيح قناع اللطف جانبًا ويكشف عن الأب العتيد..

ابتسمت وقلت متظاهرًا بالظرف:

«بالعكس.. إن (أنق... (أكمل) ولد ظريف شجاع..»

ثم كلمت الطفل على طريقة برامج الأطفال:

«سوف يعود لغرفته وينام.. إن يومًا شاقًا ينتظره غدًا على الشط.. لعب وسباحة و.. و.. فقط عد لحجرتك إلى أن أنتهي من الكلام مع بابا»

نظر لي الصبي نظرة مستغيثة ذكرتني بنظرته عندما ابتعد مع أبيه في المرة الأولى، وسرعان ما كان يصعد على الدرج إلى غرفته.. ضعيفًا واهنًا حافي القدمين.. يصعب أن تشعر نحوه بحقد حقيقي.

توقف الأب قليلاً وهو يرمق ابنه يبتعد. ثم عبث في جيب الروب فأخرج علبة تبغ.. ناولني لفافة ودس في فمه أخرى.. ثم قال:

«خيال الأطفال لا ينتهي عند حد.. ماذا قال لك؟»

نفثت سحابة من التبغ وقلت:

«حكى لي عن خالته.. عن ولعها بالعفاريت والجان، ثم يزعم أنه وجدها تسجد أمام شيطان أو جني في الغرفة»

نفث دخان السيجارة بدوره وقال:

«خيال الأطفال!.. هذه المرأة أفسدت دماغ العيال بقصصها التي لا تنتهي.. اسمع.. أنا لست طبيبًا نفسيًا لكني سمعت الكثيرين منهم.. عندما تتقدم السن بالفتاة بلا زواج فإنها ترى رؤى ذات طابع جنسي تلقي بها على كاهل التفسيرات الخوارقية.. هل تفهم ما أقول؟»

«لا..»

قال منتقيًا كلماته:

«هذا يفسر لك كل قصص الفتيات اللاتي تزوجن من ملك الجان.. ملك الجان الذي يخرج من الحائط قبل الفجر.. هذه مجرد رؤى جنسية لإخراج الضغط المكبوت.. أخت زوجتي تعتقد أنها متزوجة من جني وإنه يزورها من حين لآخر..»

قلت في عصبية:

«كل هذا جميل.. المشكلة أن ابنك رأى ذلك فعلاً!»

«إنها تتكلم أمام الأطفال بلا حذر.. وقد زرعت هذه الصورة في وجدانهم.. دعني أقل شيئًا آخر هو أن الأشخاص المصابين بالعصاب يملكون قوة تأثير هائلة.. قوة (الليبيدو).. هل تفهم ما أقول؟»

كالعادة هو يفترض أنني حمار لمجرد أنني موظف استقبال، غير عالم أنني قرأت كل كتاب وقع في يدي وثقافتي لا يستهان بها.. هناك قصة مهمة لـ (ناثانييل هوثورن) تحكي عن شيء كهذا.. الفتاة المحرومة من الزواج، وكيف استطاعت أن توقع الطبيب في حبائلها عندما راحت تحدق في وجهه بعينيها الثابتتين وتردد: «أنت تحبني.. أليس كذلك؟.. هه؟.. أنت تحبني.. أليس كذلك؟».. هكذا وجد نفسه هائمًا بها..

قلت له:

«أفهم.. إن تأثيرها هائل على الآخرين كأنها ساحرة»

«نعم.. لهذا يصدق الكل ما تقول.. والأطفال يصدقون أفضل من سواهم»

ثم دفن لفافة التبغ في المطفأة وهز رأسه وابتعد..

*****

في الصباح خرج الجميع إلى الشط..

منتعشين متفائلين.. حتى الصبي بدا لي مجرد طفل مزعج من جديد.. كان شهواني لا يريد إلا أن يسبح في البحر للأبد..

عندما خرج الجميع من الباب الزجاجي، انهمكت في كتابة بعض الأوراق.. عندما شعرت بأن هناك من يقف أمامي.. رفعت راسي في حذر فوجدت نفسي أحدق في العينين الواسعتين المتوحشتين للخالة النحيلة.. لقد عادت وحدها..

ارتجفت.. من المفاجأة ولأن التعبير على وجهها يوشك أن يكون شيطانيًا..

قالت بصوت كالفحيح:

«اسمع.. لا أعرف ما قاله لك الصبي.. لكني أنذرك.. لو خرج هذا الكلام عن صدرك فلسوف أمزقك بأسناني.. أمزقك»

ارتجفت وسقطت الأوراق من يدي.. قبل أن أتكلم أو أطلب تفسيرًا كانت قد غادرت المكان..

هذه المرأة غير طبيعية فعلاً.. قوة تأثيرها كاسحة..

والأهم أنها أعطتني إنذارًا لا شك فيه.. آخر شيء تريده في العالم هو أن يعرف أحد بما رآه الصبي..

لكن ما الذي رآه الصبي فعلاً؟.. هستيريا من خياله أم هو ملك الجان فعلاً؟

لابد أن أرى بنفسي..

مخاطرة مروعة لكني لن أستريح حتى أعرف..

كانت نوبتجيتي قد انتهت فعدت إلى غرفتي ونمت..

في المساء كانت الأسرة كلها في الخارج.. لكني وجدت أن مفتاح الغرفة ٢٠٧ غير موجود..

لقد عادت الخالة وحدها.. فلماذا؟

كانت الفرصة ذهبية لإرواء فضولي.. طلبت من مصطفى عامل المصعد أن يأخذ مكاني خلف الكاونتر، وأخذت المصعد إلى الطابق الثاني..

كانت الغرف خالية والردهة كذلك.. هذه هي الساعة التي يجول فيها النزلاء على الكورنيش أو يقضون أمسيتهم في مكان ما.. سيعودون قريبًا جدا.. لكن هذه المرأة وحدها في غرفتها وأنا أريد أن أعرف..

لا أعتقد أنني سأجد ملك الجان.. لكن الخطر كل الخطر هو أن يراني أحدهم. معنى هذا هو الطرد بلا نقاش..

الطريق كان سهلاً لأن الصبي وصفه لي من قبل.. لم أكن أعرفه لكني وجدت أنه سهل جدا وأن إدارة الفندق حمقاء.. يمكن لشخص بسهولة تسلق أية غرفة في هذا الجانب المطل على الشرفة..

وثبت عابرًا الحاجز.. أنا الآن في شرفة الغرفة ٢٠٧..

دنوت من الشيش الموارب.. اختلست نظرة حذرة.. هذه الأصوات تبدو مألوفة..

هنا وثبت إلى الخلف كما وثب الصبي ليلة أمس..

سرعان ما كنت أقفز فوق الحاجز عائدًا إلى الاستقبال وقلبي يتواثب في صدري..

«الأشخاص المصابون بالعصاب يملكون قوة تأثير هائلة.. قوة (الليبيدو).. هل تفهم ما أقول؟».. قالها الأب لي ليلة أمس ولم يكن بعيدًا عن الحقيقة.. والصبي؟.. هذا نوع مما يسمونه فقدان الذاكرة الهستيري.. لقد رأى مشهدًا لم يستطع تصديقه لذا قام عقله بتلفيق مشهد لا وجود له وصدقه.. خالته راكعة أمام ملك الجان.. لم يكن يقدر على الاعتراف لنفسه بالمشهد الحقيقي..

لقد عادت الخالة.. ويبدو أن هذا كان الحل الوحيد.. هناك شخص آخر عاد بحجة فارغة.. وبعد قليل سيغادر الفندق ليلحق بأسرته التي تنتظره في مكان ما..

المشهد الذي رآه الصبي ورأيته أنا هو الخالة بين ذراعي الأب؟

يمكنني أن أتخيل الأب وهو يتسلل عبر الشرفة ليلة أمس ليكون في الغرفة المغلقة مع أخت زوجته.. يمكنني أن أتخيلها تعود وحدها هذه الليلة لأنها مصابة بالصداع، ثم يعتذر هو لزوجته لأنه يجب أن يقوم بمهمة ما.. هكذا يعود إلى الفندق سريعًا.. هذه هي فرصته بعيدًا عن (أنقص) الفضولي الشاقب...

برغم كل شيء أشعر أن لهذه الغرفة اللعينة دورًا في هذا كله.. وأشعر أن تلك المرأة مخيلة بحق وأنها ستعرف أنني تكلمت..

لهذا أرجوكم. لا تحكوا هذه القصة لشخص آخر.. لربما عرفت.. ولربما عادت لي.. وعندئذ.........

فضول

(هدى) كانت فضولية.. لا أحد ينكر هذا..

بالنسبة لي كنت أعرف هذا، لكني كنت أقبله.. ثمة نقاط ضعف ونقاط قوة تحتشد معًا لتصنع ذلك الكائن الغامض المدعو (أنثى).. وبالنسبة لي كنت أقبل هذه العيوب كما أقبل المزايا.. لو أنك ازدريت الأنثى لأن عظامها هشة أو لأنها أقصر من الرجل، أو لأنه لا يوجد شريان خصية في تشريحها، فإن بوسعك أن تزدريها لأنها فضولية أكثر من اللازم.. بينما هذا الاختلاف قد يزيدها سحرًا في الواقع.. إنها ليست أنت ولا زميلك ولا ابن عمك.. هذا ساحر في حد ذاته..

(هدى) كانت فضولية وكان علي أن أقول هذا ما دمت أحكي هذه القصة، برغم أن هذا يكشف الكثير من أوراق اللعب كما ترى.. ثلاثة أرباع قصص الرعب أبطالها أشخاص فضوليون، وإلا فمن ذلك الأحمق الذي يفتح تابوت مصاص الدماء؟.. ومن البلهاء التي تمشي في الغابة المظلمة ليلاً؟.. ومن الغبي الذي ينزل إلى البئر العميقة متدليًا بحبل؟.. إنهم الفضوليون.. الفضوليون الذين تعج المقابر بهم..

(هدى) كانت فضولية.. وكان عليها أن تدفع الثمن..

●●●●●

في العاشرة من صباح كل يوم ترى (هدى) واقفة في الممر الذي يصل بين الغرف.. تقف جوار تلك العربة التي عليها كل ما تحتاج له للتنظيف.. عدة أنواع من المكانس.. منظفات.. قطع قماش.. الخ. إنها حاصلة على شهادة جامعية، لكنها تنتمي لذلك الجيل الذي كفت فيه الدولة عن تعيين الخريجين.. لقد بدأ ذلك العصر السعيد بها.. هكذا قضت عامين أو ثلاثة في البيت ثم وجدت أنه لابد من تجربة حظها.. لم تكن تنوي أن تقف في أحد المحلات أو تعمل سكرتيرة لدى مدير شركة خاصة وغد، وكانت تفتقر إلى الواسطة.. هكذا جاء الوقت الذي صارت فيه عاملة في فندقنا..

لكن هدى ليست عاملة بالمعنى الحرفي للكلمة.. لا تنس مستوى الفندق الراقي، ولا تنس كبرياءها وتعاملها (شديد اللياقة) مع النزلاء ومعنا.. في رسالة صامتة تقول طيلة الوقت (أنا مش خدامة أبوكم).. لهذا لا يجرؤ أحد على اعتبارها عاملة.. تطلق على

هنا وجدت قصاصات صورة ممزقة.. الصورة التي وصفتها لي هدى على الهاتف..

جمعت القطع.. كأنني أجمع لغزًا للأطفال.. هذا عسير وشبه مستحيل.. لكني على الأقل وجدت العينين والفم وجزءًا من الشعر..

ليست هذه صورة فتاة شقراء.. إنها فتاة سمراء بدينة لها نظرة حازمة متعالية..

هذه الصورة التي استقرت في الدرج لم تكن سوى صورة (هدى)!

زوجـان

(سارة) الخبيثة مضيفة الفندق لا تترك شيئًا من دون تعليق..

قالت لي وهي تستند على الكاونتر وتراقب ذلك الرجل القادم من الباب:

«هذا الرجل يدمن الحشيش.. أعتقد أن خدم الغرف سيشمون رائحة غريبة وهم ينظفون الغرفة صباحًا..»

أنظر لها حيث تقف هناك، متكورة على نفسها كقطة صغيرة لعوب، وأقول في غيظ مصطنع:

«من الغبي الذي قال لك هذا؟»

«عيناه قالتا.. لو كنت لا تعرف عيني مدمن الحشيش فأنت أحمق..»

أهز رأسي لا أسمع ما تقول، وأبتسم للنزيل الجديد الذي جاء يسأل عن غرفة.. لا يفوتني أن ألاحظ ذلك الثقل في كلماته والنظرة النعسة الغارقة في الخمول في عينيه.. لو لم يكن هذا مدمنًا فأنا لا أفقه شيئًا.. هذه الفتاة تلاحظ جيدًا فعلاً..

ثم ينصرف الرجل، فيظهر على الباب ذلك الشاب النحيل ذو العوينات، فتقول (سارة) دون أن تغير وضعها:

«وهذا؟.. الشاب الخجول الشاعري الذي يهيم بي حبًا لكنه لا يجسر على التصريح.. سوف يكلمك ثم يدير رأسه بحركة شبه عفوية ليختلس نظرة لي، لكنه سيفاجأ بأنني أرمقه كالصقر، من ثم يلمس إطار عويناته متظاهرًا بأنها مصادفة، ويعود للكلام معك.»

«أعتقد أنه سينظر لك خلسة مندهشًا من مدى تدهور ذوق هذا الفندق في اختيار العاملات به..»

يتقلص وجهها في ضحكة استخفاف واستخفاف معًا وتقول:

«هي هي هي.. ظريف..»

يدنو الشاب منا، وهو نزيل بالفندق منذ يومين على فكرة، ويسألني عن أشياء عدة، ثم يتظاهر بأنه يدور برأسه في حركة طبيعية.. يلقي نظرة على (سارة)، لكنها تقابل عينيه

نفسها Chamber maid كما أن ملامح وجهها شديدة الكبرياء وبدانتها تعطيها طابعًا مهيبًا، كأنها ناظرة مدرسة حازمة لا يمكن المزاح معها أو الاستخفاف بها.. هذا النوع من الكبرياء والتعالي الزائدين مميز دومًا للأشخاص الذين يشعرون بأن مهنتهم أقل من مؤهلاتهم.. التبسط المرح لا يأتي إلا من شخص راض عن نفسه وعن موقعه في الحياة..

برغم هذا هي فضولية جدًا.. هي لا تسمع اثنين يتكلمان إلا وتحاول أن تكون ثالثهما.. لا ترى كومة أوراق على منضدة إلا وتفحصتها.. لا تجد بابًا مغلقًا إلا وفتحته.. في اعتقادي أنها اختارت العمل مهنة ممكنة لفتاة فضولية، لأن الغرف في الصباح تكون صناديق مليئة بحلوى الأسرار تنتظر من يفتحها..

إن (هدى) ثرثارة كذلك، لذا تأتي لي حيث وقفت على الكاونتر وتحكي لي.. تحكي لي عن العجوز التي تحتفظ بدواوين شعر (نزار قباني) كلها.. عن الآنسة غير المتزوجة التي تضع في غرفتها حبوب منع حمل.. الكثير منها.. عن الأمريكي الذي اشترى عدة عبوات من معسل (آخر مزاج)..

تحكي هذا كله وتضحك.. وتضرب كفًا بكف مندهشة من غرابة وسخف الناس..

فأقول لها:

«من حق كل إنسان أن يكون غريبًا سخيفًا إذا اختلى بنفسه.. وإلا.. فمتى نتخلى عن وقارنا ونجن؟»

إن هذا غير عادل.. الأمر يشبه أن تتلصص على شخص في الحمام ثم تبدي اشمئزازك من الرائحة ومن المشهد المشين.. من طلب منك أن تقتحم عالمه وخصوصياته؟.. ومتى يدخل الإنسان الحمام إذن؟

لكن (هدى) لا تتراجع عن عادة الفضول وعادة الكبرياء.. فقط هي تدور كالنحلة المكتنزة في أرجاء الفندق، ثم تعود دومًا إلى بيتها أمام الكاونتر تلتقط أنفاسها وتحكي لي شيئًا جديدًا..

«المرأة في الغرفة ٢٠٤.. إنها تدخن الغليون!.. تصور هذا؟.. مجموعة كاملة من الغلايين في الدرج..»

«الرجل الشاحب في الغرفة ١٧١.. الذي جاء أمس مع زوجته.. لديه مجموعة غريبة من المقالات التي تهاجم الحكومة.. أعتقد أنه ينتمي لتنظيم ما»

«تلك المرأة في الغرفة ٢٠٢.. أعتقد أنها تخون زوجها.. ما الدليل؟.. عيناها خائنتان.. هذه أمور تعرفها النساء ولا يفهمها الرجال لأنهم حمقى»

ثم تضرب كفًا بكف وتبتعد....

هل كانت (هدى) تميل لي؟.. لا أعتقد لو كنت تتكلم عن الميل الذي هو اسم تدليل للحب.. كانت تميل لي كما تميل أنت إلى بواب البناية العجوز.. شخص تتكلم معه ويشعرك بقدر من الدفء البشري.. لكنك لن تتزوج البواب العجوز ولن تكتب عنه قصائد الشعر.. هذا يجيب عن سؤالك..

منذ يومين جاء إلى الفندق سائح بريطاني.. بريطاني جدًا لو أردت الدقة.. صموت مهذب سمح قليلاً.. اختار غرفة أعتقد أنك صرت تعرفها إلى حد ما.. الغرفة ٢٠٧..

لا أريد أن أكون طفلاً.. هناك كثيرون يختارون هذه الغرفة ولا يحدث لهم شيء.. أو إنما أردت الدقة.. لا نعرف أنه حدث لهم شيء.. لكني ما زلت أنقبض وأتوتر عندما أرى هذا الرقم مكتوبًا في مكان ما..

هكذا أقام الرجل في تلك الغرفة وكان يومه منتظمًا.. يخرج في السادسة صباحًا إلى البحر.. يعود في موعد الغداء.. يختفي في غرفته حتى السابعة مساء ثم يخرج من جديد ليعود في الواحدة صباحًا..

يبدو أنه لا يعرف من اللغة الإنجليزية سوى كلمتين هما:

«مورننج.. إيفننج»

هكذا لم نعرف عنه الكثير، وهو لم يعرف عنا الكثير.. فقط يمكن أن تراه في المطعم يلتهم طعامه شارد الذهن وجواره كتاب عن علم المصريات يلقي من حين لحين نظرة إليه..

فقط كان واقفًا ذات مرة عند الكاونتر عندما دنا منه شاب مصري متحمس وتبادل معه حديثًا شغوفًا.. كان الفتى منبهرًا يرتجف انبهارًا بينما صديقنا البريطاني سمح كأفراس النهر يرد بتحفظ.. ثم أخرج قلمًا ووقع للفتى المصري على كتاب قدمه له..

لما انصرف وجدتها فرصة لأعرف عنه شيئًا.. فسألت الفتى المصري:

«من هذا؟.. لا أعتقد أنه ملكة بريطانيا فهي لا تبدو كهذا..»

قال الفتى وهو يتأمل الكتاب بانبهار:

«(آرثر ماكجريفن).. إنه كاتب بريطاني مهم.. يجب أن تفخروا بوجوده في الفندق..»

قلت في لا مبالاة:

«يقال إن هذا الفندق استضاف (مونتجمري) يومًا ما عندما جاء يستعيد ذكريات العلمين.. لكن ما الفارق؟.. لقد جاء (ماكجريفن) هنا.. بقى.. (ماكجريفن) سيدفع الحساب ويذهب..»

ثم سألت الفتى:

«كيف عرفته؟.. لا تقل لي إنها الصورة على غلاف كتبه»

«أنا صحفي وجئت خصيصًا إلى مرسى مطروح لأقابله.. المفترض أن هذه الزيارة سرية»

«لهذا بدا عليه أنه لا يرحب بك على الإطلاق..»

إذن ما زال هذا الفندق العجوز قادرًا على جذب كاتب من وزن هذا الـ.. هذا الـ.. نسيت الاسم للأسف.. المهم أن هذا الفندق أكثر أهمية مما تعتقد..

أخبرت (هدى) بذلك عندما هبطنا إلى الكافيتريا لتناول الشاي.. وكان هذا خطأ جسيمًا كما ستعرف...

●●●●●

(هدى) كانت فضولية..

لهذا يمكنك أن تتصور ما حدث..

العاشرة صباحًا والعربة ذات العجلات تزحف عبر الممر في الطابق الثاني.. الغرفة ٢١١.. ٢٠٩.. تدخل وتقوم بالتنظيف وترتب الفراش، وتلقي نظرة فضولية على كل شيء ثم تغادر الغرفة..

الغرفة ٢٠٧..

تتذكر ما قلته لها.. هناك كاتب بريطاني شهير يقيم هنا.. لم تكن من هواة القراءة، وكان الأدب البريطاني آخر شيء يشغل بالها، لكنها على كل حال قررت أن هذه الغرفة تختلف.. اليوم تراها بعين جديدة.

هكذا دخلت لترى المشهد المعتاد.. الفراش غير المرتب والمنامة ملقاة عليه.. منبه جوار الفراش.. خزانة الثياب مفتوحة... فقط هناك كومود مغلق بالمفتاح حرصًا على ما فيه من أشياء مهمة.. لا.. ليست مالاً وإلا كان الرجل أحمق.. أشياء كهذه تحفظ لدى إدارة الفندق..

الشرفة مفتوحة ومنها ترى البحر وقد بدأ يزدحم بالسابحين.. كانت قد ملت مهنتها لدرجة أنها بالفعل صارت تكره البحر وتشعر بأنه سخيف ممل متصنع إلى حد ما.. يتصور أنه ما دام يقذف الأمواج فهو طريف..

ألقت نظرة على خزانة الثياب فلم تجد ما يهم.. ألقت نظرة على الحمام فلم تر إلا آلة حلاقة ملوثة بالصابون موضوعة في الحوض.. بعض أقراص الدواء في شريط.. لا شيء..

على المنضدة الموجودة جوار الفراش كانت مجموعة من الأوراق.. ومفتاح!

لم تجسر على الأمل.. مدت يدها بالمفتاح وعبثت في الدرج.. سمعت صوت (كليك) المفتاح بينما الآلة تستجيب.. لقد انفتح!

كان الدرج خاليًا إلا من مجموعة أوراق.. هناك صورة ممزقة إلى أشلاء عليها وجه امرأة على طرفها من قصاصات متناثرة... امرأة شقراء غربية..

مفكرة... مدت يدها تتصفحها..

هناك ملاحظات بالإنجليزية بخط لا يقرأ.. هناك أشكال غير مفهومة.. دنت أكثر وتفحصت الأوراق فوجدت لفظة إنجليزية لم تفهمها لكنها واضحة الكتابة:

Tetragrammaton

ما معناها؟...

كان الهاتف على الكومود، وهي تعرف أنني في الاستقبال.. تصادف أن هذه نوبتجيتي.. رفعت السماعة وقالت لي:

«ما معنى تت.. تترا.. تتراجراما.......تتراجراماتون؟»

قلت لها في برود:

«هل قال لك أحد إن شكسبير يعمل موظفًا للاستقبال هنا؟.. طبعاً لا أعرف.. لكني أتمنى لو عرفت أين أنت وما كل هذا الحماس؟»

«أنا في الغرفة ٢٠٧.. نعم.. لقد فتحت الدرج فوجدت صورة امرأة شقراء ممزقة.. لا.. الصورة هي الممزقة وليست المرأة.. هناك مفكرة فيها هذه الكلمة ويبدو أنها مهمة..»

قلت لها لائمًا:

«فضولك معروف لكنه تجاوز الحد.. يوشك على أن يتخذ طابعًا جنائيًا.. أرجو أن تعيدي كل شيء لمكانه وتأتي حالاً..»

قالت بلا اقتناع:

«معك حق..»

ووضعت السماعة..

كيف كان لي أن أعرف أن الدرج لم ينغلق؟.. يبدو أنها أغلقته بعصبية فانكسر المفتاح في القفل وبقي مفتوحًا للأبد!

٥٥٥٥٥

في الواحدة بعد الظهر اتصل بي الخواجة (مايكل) المدير طالبًا أن أصعد إلى مكتبه.

توجست خيفة لأن العجوز لا يطلبنا إلا لحدث جلل.. أين هو الرفت أو الخصم حسب مزاجه.. اتجهت إلى مكتبه لأقابل رأسه العملاق المطل من فوق الكتب.. الجسد الضئيل الذي لا يظهر البتة والعينان الزرقاوان الباردتان..

نظر لي بتلك النظرة التي أخافها وسألني:

«مزعلين (هدى) ليه يا (جمال)؟»

هنا لاحظت للمرة الأولى أن (هدى) تقف على بعد خطوات، وكانت دامعة العينين محمرة الأنف.. ماذا حدث؟

هنا صاحت (هدى) في هستيريا:

«لم يضايقني أحد يا خواجة.. أقسم لك»

نظر لي وقال:

«فجأة جاءت مكتبي تبكي وتولول.. إنها مصرة على الاستقالة الآن.. تطلب تسوية حسابها وإلا فهي لا تريده.. أنا لم أر هذا المشهد من قبل إلا ثلاث مرات، وفي كل مرة كان

العاملون بالفندق أولاد الحرام هم السبب.. أنتم تتحرشون بالفتاة المسكينة وتقرصونها في مؤخرتها.. لا تكذب»

مؤخرتها؟.. مع كل هذه البدانة التي تتمتع بها (هدى) لا يستطيع أن يقرصها إلا بلدوزر.. ومع صرامة وجهها المتعالي يستحيل أن يتحرش بها إلا (راسبوتين) نفسه..

قبل أن أجيب عادت هي تدافع عني بحماس..

«لا ذنب له.. لا ذنب لأحد.. فقط هناك أسباب قوية يا خواجة.. أرجوك أنا لا أستطيع شرحها.. فقط أرجو أن تنهي كل شيء الآن..»

عاد ينظر لي في عدم فهم.. ومن جديد قال:

«ألانا وعدتها بالزواج وتخليت عنها أيها الخنزير؟.. أمثالك يجب أن يجلدوا بالسياط»

من جديد كنت أفتح فمي، لولا أن هبت (هدى) تؤكد أنه لم يتحرش بها أحد ولم يقرصها أحد ولم يعدها أحد بالزواج.. فقط هي تريد أن ترحل..

نظر إلى عم (سيد) المحاسب العجوز الذي يقف على بعد خطوات يراقب المشهد، وأمره أن يسوي حساب هذا البائسة.. ثم..

«تفضل..»

قالها لي في اشمئزاز مشيراً بكفه نحو الباب.. ثم أردف:

«حسابك بعدين»

هكذا خرجنا من المكتب نضرب كفًا بكف.. من ضايقك يا فتاة؟.. كنت في خير حال صباح اليوم.... ماذا جرى؟.. يمكننا أن نسوي الأمور..

لكنها كانت تقاطعنا صائحة في هستيريا:

«لا أريد أي شيء سوى الرحيل..»

الغرفة ٢٠٧!.. عندما تسألني عن تفسير أي سلوك غير منطقي فإنني أذكرك بتلك الغرفة اللعينة التي لابد منها في كل قصة غامضة.. نحس الغرفة قد حل بالفتاة بلا شك..

طبعًا سوف أريحك من تفاصيل ما دار مع الفتاة ما دام لن يخرج عن محاولات إقناع فاشلة، وإصرار لا يتزحزح على الرحيل وعدم التفسير معًا..

في النهاية أخذت (هدى) حقائبها وسرعان ما كانت تخرج من الفندق ومن (مرسى مطروح) ومن حياتنا.. بلا رجعة.....

كنت حائرًا.. عشت هذا الموقف ألف مرة، لكني لم أره من قبل بهذه السرعة الدرامية وهذا الغموض، وقد قال لي عم مينا ونحن واقفان على الباب الزجاجي نراقب الطريق:

«بيني وبينك.. أنا أيضًا أعتقد أنكم تحرشتم بها.. أنتم مجموعة من أولاد الحرام فعلاً، ولا يمكن أن تحتفظ فتاة بكرامتها بينكم..»

ثم نظر لي في اشمئزاز وبصق على الأرض وقال:

«تقرص فتاة في مؤخرتها؟.. هل هذا تصرف يقدم عليه رجل عاقل ناضج؟»

وانصرف.. لقد صدق نظرية المدير حتى بدأت أشك في نفسي.. يبدو أنني سبب رحيلها فعلاً وأنني أقرص فعلاً... كأنه ليس هناك أي موظفين في هذا الفندق غيري.. أو ربما الجميع محترمون مهذبون لا يقرصون وأنا الوغد الوحيد..

لكني كنت أعرف..

الغرفة ٢٠٧..

هذا آخر مكان كانت فيه الفتاة... آخر ما رأته.. السبب الذي جعلها تقرر الرحيل..

هل عاد ذلك الكاتب البريطاني من الشاطئ؟.. بالتأكيد عاد وتناول الغداء.. فهل شعر بأن هناك من عبث في غرفته؟.. هل اتهمها بشيء؟.. هل رغبت في الرحيل قبل أن يتهمها؟

الاحتمال الأخير أقرب للصواب، لكني يجب أن أطلق طلقة اختبار....

•••••

(هدى) كانت فضولية..

كذلك كنت أنا..

لا أعني أنني مولع بتفتيش حاجيات النزلاء، لكني أرغب بالتأكيد في معرفة سبب رحيلها المفاجئ..

هكذا انتظرت حتى ظهر ذلك البريطاني الذي نسيت اسمه.. (آرثر شيء ما).. لابد في كل مرة أن أفتح الدفتر لأتذكر... كان متجهًا نحو الكاونتر مرتديًا قميصًا صيفيًا واسعًا وسروالاً مريحًا وصندلاً.. ناولني المفتاح فألقيت الطعم الأول:

حكاية الغرفة ٢٠٧ ٤٢

«هل الغرفة جيدة؟.. هل هي مأمونة؟»

نظر لي في حيرة فقلت على الفور:

«كل شيء في موضعه؟...»

هز رأسه وهو يفكر في معنى كلامي.. ثم قال وقد تذكر:

«المفتاح مكسور في درج الكومود.. أرجو أن ترسل من يصلحه..»

هكذا فهمت.. أعرف من فعل هذا وأعرف أنه افتضح على الفور.. أول من يتجه له الشك هو خدم الغرف.. على كل حال هززت رأسي وكتبت مذكرة بذلك مع وعد بأن أرسل له (الكوالينجي) أو النجار فورًا..

مددت يدي إلى ورقة على الكاونتر وضعتها أمامه وسألته في براءة:

«هذه اللفظة... Tetragrammaton قابلتني أثناء القراءة ولم أدر معناها.. هل يمكن أن تساعدني؟»

نظر لي في برود.. لو كنت قد قابلتها فأنت مثقف بارع فعلاً.. تأملها بعض الوقت، ثم قال:

«إنه شيء يخص الديانة اليهودية.. لا تشغل بالك بهذه التفاصيل.. أين قرأتها؟»

«لم أعد أذكر..»

«هذه تفاصيل دينية لا تهم إلا الحاخامات.. دعك من هذا.. المفتاح!»

وناولني المفتاح وابتعد.....

ظللت أمارس عملي غارقًا في التفكير.. هنا سمعت من يصفر مارًا بي.. كان هذا هو الصحفي الشاب المصري الذي يتردد على فندقنا أكثر من اللازم..

توقف عند الكاونتر وسألني عن أخبار الكاتب البريطاني..

«مما يثير جنوني أن آتي وأرحل من دون أن أجري حوارًا معه.. كانت فرصة ذهبية.. لكنه غير ودود على الإطلاق.. سوف أحاول غدًا أن أحاصره على الشاطئ»

هنا سألته فجأة:

«أعرف أنه يكتب.. لكن يكتب أي شيء؟.. شيكات؟»

«إنه من المهتمين بالميثولوجيا.. الديانات القديمة.. الأساطير.. لكنه اكتسب بريقًا إعلاميًا لا بأس به في الخارج»

«ما هو التتراجراماتون Tetragrammaton؟»

قال ضاحكًا وهو يشعل لفافة تبغ:

«الاسم السري للرب في الديانة اليهودية.. هذا هو مجال عمله فعلاً.. إنه اسم رباعي يؤمن اليهود أن من يعرفه يستطيع السيطرة على شياطين الكون وعلى العالم السفلي.. لهذا يستعملون أسماء (إلوهيم) و(جيهوفاه) كي لا ينطقوا الاسم الأصلي..»

«هل تعني أنه سر محرم؟»

«إلى حد الموت أحيانًا.. نعم.. لكن الأمر كله يتعلق بالسحر الأسود.. كلام فارغ من هذا القبيل»

رحت أفكر في معنى هذا..

وفي هذه اللحظة شعرت بحركة غير طبيعية.. كانت فتاتان من المضيفات تجريان في اللوبي وهما تبكيان.. والمشرفة والمضيفة الأخرى تغطي فمها بيدها لتكتم صرختها وعيناها متسعتان رعبًا، بينما النزلاء ينهضون مذعورين غير فاهمين ما يحدث.. والمضيفة الرابعة ارتمت على صدر الثالثة وانفجرت في البكاء..

واحدة سقطت مغشيًا عليها فراحوا يرشون وجهها بالماء..

مشهد مسرحي بديع، وله طابع إغريقي محبب للنفس.. فتيات يأتين من كل أرجاء المسرح باكيات ثم يرتمين على الأرض ويغطين وجوههن، بينما شعورهن تنتشر هنا وهناك.. لن أندهش لو ظهر أوديب الآن من مكان ما.. لكن ما معنى هذا المشهد؟

هنا سمعت لفظة (هدى) تتردد.. مع عبارة (يا حبيبتي) مرارًا.. يقدمن عاجزتين عن حملي دنوت من (رغدة) المضيفة السكندرية وسألتها عما حدث فقالت باكية:

«المستشفى اتصل بنا.. حادث وقع لـ (هدى) لدى رحيلها.. انقلبت السيارة بها.. نقلوها للمستشفى لكنها لفظت أنفاسها الأخيرة منذ ساعة ولم يعرفوا منها إلا أنها تعمل هنا..»

«تعنين أنها....؟»

«قلت لك إنها ماتت!.. يا لك من غبي!.. المسكينة كانت تتعجل الرحيل لا عن الفندق بل عن الحياة كلها.. لعلها أرادت أن ترى أهلها قبل......»

ثم انفجرت من جديد في البكاء:

«يا حبيبتي يا هدى!»

كان عقلي يعج بالأسئلة..

ما الذي جعل (هدى) تقرر الفرار فجأة؟.. هل الحادث صدفة فعلاً؟.. التتراجراماتون لغز محرم إلى حد الموت.. هكذا قال الصحفي، والصحفيون يعرفون ما يقولون أو هذا ما يفترضه الناس.. الأوراق التي وجدتها في الدرج.. هل كانت تحوي السر؟.. هل عرفته؟.. أم أن هناك من افترض أنها عرفته؟.. هل كان سؤالي للبريطاني زلة غبية؟.. هل اعتبرني أعرف السر الآن؟.. فقط أنا أعرف يقينًا أن الأوراق معه ولم يتركها في الغرفة..

(هدى) تلقت إنذارًا خفيًا بأنها ستموت.. لهذا كانت شبه مجنونة وهي تطلب الرحيل وتتوسل من أجله..

لقد رأت الأوراق وعرفت أن نهايتها قريبة.. لكن ما الذي رآه فعلاً؟

كانت هناك في الدرج صورة شقراء ممزقة.. الصورة ليست الشقراء.. فما دخلها في القصة؟

قبل أن أقرر ما أفعله كنت آخذ المفتاح وأركب المصعد إلى الطابق الثاني..

أركض في الممر نحو الغرفة التي صرت أمقت منظرها على بعد خمسين مترًا.. أنا أعرف أن ذلك البريطاني الذي نسيت اسمه لن يعود قبل ساعتين..

نظرت حولي ثم أولجت المفتاح في قفل الباب..

دلفت إلى الغرفة المظلمة الباردة.. لقد كانت الشرفة مفتوحة..

أضأت الأباجورة جوار الفراش ونظرت إلى الكومود.. بالفعل كان الدرج مفتوحًا لأن اللسان الذي يغلقه كان محشورًا.. إنه خالٍ.. طبعًا.. لو كانت الأوراق مهمة فإن هذا البريطاني سوف يأخذها معه..

مددت يدي أعبث هنا وهناك في الضوء الخافت..

تتراجراماتون.. الاسم السري الرباعي الذي يجعلك تسيطر على الكون والذي يساوي حياة فتاة شابة..

هنا وجدت قصاصات صورة ممزقة.. الصورة التي وصفتها لي هدى على الهاتف..

جمعت القطع.. كأنني أجمع لغزًا للأطفال.. هذا عسير وشبه مستحيل.. لكني على الأقل وجدت العينين والفم وجزءًا من الشعر..

ليست هذه صورة فتاة شقراء.. إنها فتاة سمراء.. فتاة سمراء بدينة لها نظرة حازمة متعالية..

هذه الصورة التي استقرت في الدرج لم تكن سوى صورة (هدى)!

زوجـان

(سارة) الخبيثة مضيفة الفندق لا تترك شيئًا من دون تعليق..

قالت لي وهي تستند على الكاونتر وتراقب ذلك الرجل القادم من الباب:

«هذا الرجل يدمن الحشيش.. أعتقد أن خدم الغرف سيشمون رائحة غريبة وهم ينظفون الغرفة صباحًا..»

أنظر لها حيث تقف هناك، متكورة على نفسها كقطة صغيرة لعوب، وأقول في غيظ مصطنع:

«من الغبي الذي قال لك هذا؟»

«عيناه قالتا.. لو كنت لا تعرف عيني مدمن الحشيش فأنت أحمق..»

أهز رأسي لا أسمع ما تقول، وأبتسم للنزيل الجديد الذي جاء يسأل عن غرفة.. لا يفوتني أن ألاحظ ذلك الثقل في كلماته والنظرة النفسية الغامضة في الخجول في عينيه.. لو لم يكن هذا مدمنًا فأنا لا أفقه شيئًا.. هذه الفتاة تلاحظ جيدًا فعلاً..

ثم ينصرف الرجل، فيظهر على الباب ذلك الشاب النحيل ذو العوينات، فتقول (سارة) دون أن تغير وضعها:

«وهذا؟.. الشاب الخجول الشاعري الذي يهيم بي حبًا لكنه لا يجسر على التصريح.. سوف يكلمك ثم يدير رأسه بحركة شبه عفوية ليختلس نظرة لي، لكنه سيفاجأ بأنني أرمقه كالصقر، من ثم يلمس إطار عويناته متظاهرًا بأنها مصادفة، ويعود للكلام معك.»

«أعتقد أنه سينظر لك خلسة مندهشًا من مدى تدهور ذوق هذا الفندق في اختيار العاملات به..»

يتقلص وجهها في ضحكة استخفاف واستخفاف معًا وتقول:

«هي هي هي.. ظريف..»

يدنو الشاب منا.. وهو نزيل بالفندق منذ يومين على فكرة.. ويسألني عن أشياء عدة.. ثم يتظاهر بأنه يدور برأسه في حركة طبيعية.. يلقي نظرة على (سارة).. لكنها تقابل عينيه

بنظرة ثابتة مقتحمة.. لقد كانت مستعدة.. هكذا يلمس إطار نظارته في حرج ويلتفت لي بسرعة ويعود للكلام..

لما انصرف استدرت إلى سارة في دهشة وسألتها:

«كيف خمنت هذا كله؟»

قالت دون أن تغير وقفتها:

«لأنه قال لي أمس إنه يحبني!كتب قصيدة من أجلي!..»

«يا لك من شيطانة!.. قلت إنه لا يجرؤ على التصريح، وإنه نموذج العاشق الصامت..»

«كنت أكذب.. أردت أن أثير غيظك لا أكثر.. على فكرة هو يلمس إطار عويناته دومًا كلما تعلق الأمر بالجنس الآخر»

وفي اللحظة التالية تنطلق كالقط لتمارس عملها قبل أن يراها مشرف العاملين أو يعو الخواجة ليخرب بيتها..

قلت لكم إنها شيطانة حقيقية..

*****

تقول لي (سارة) وهي تنظر إلى مدخل الفندق:

«العريسان الجديدان!»

فأنظر إلى المدخل لأرى اثنين من الحمالين منهمكين في وضع مجموعة حقائب على عربة يد، وهناك ذلك الشاب فارع الطول ضخم الجثة.. ربما يشبه ابن عمي نوعًا لكن مع فارق صحي هائل.. جواره تلك السيدة التي تضع على رأسها قبعة من الخوص، وتلبس نظارة سوداء وقفازين أبيضين طويلين لا مكان لهما في هذا الحر.. هناك نوع من الحيوية والحماس والتفاؤل في منظرهما يوحي لك بما قالته (سارة)..

من جديد همست الشيطانة في خبث:

«إنه متيم بها تمامًا.. واقع بالكامل تحت سيطرتها..»

قلت في غيظ:

«هل عرفت هذا من مشيتهما؟»

«لا.. لاحظ أن أغلب الحقائب تحمل طابعًا نسائيًا.. لاحظ الحقيبة المعدنية التي يحملها، والتي لا يمكن أن تحمل سوى أدوات ماكياجها.. المفترض أن تحملها هي.. هي فتاة مبهرجة أنانية مهتمة بنفسها، وهو حيوان واقع في مصيدة الافتتان بها..»

هنا أشرت لها كي تصمت لأن ذلك العملاق المتيم قد وصل إلى الكاونتر ووقف يلهث.. كان وسيمًا له ملامح قوية لكنه من النوع الذي يحمل طباع الثيران.. عينان متسعتان فيهما رعب وجنون وغضب.. هذا الرجل يتشاجر مائة مرة في الساعة ولابد أن يضرب بقبضته في نصف هذه المشاجرات..

الفتاة كانت أقرب إلى قط شرس مزعج.. كتلة من المتاعب تمشي على قدمين.. على وجهها تعبير دائم من القرف و(لم أتوقع أن يكون الأمر بهذا السوء).. أي أمر؟.. كل شيء.. عندما نزعت النظارة السوداء كانت عيناها الخضراوان تعطيانها طابع النمر فعلاً.. أعتقد أنها كانت جميلة وأنها تملك ما يبرر هذا الاستعباد الجنسي للفتى، وإن لاحظت أنها شاحبة بشكل لا يمكن وصفه.. إما أنها من أسرة ذات لون بشرة غريب وراثيًا، وإما إنها تعاني من حالة فقر دم [illegible]..

ابتسمتُ له ابتسامة مهنية وقلت:

«عريسان جديدان.. شهر عسل.. هه؟»

ابتسم ابتسامة بدت كأخدود يرتسم على وجهه القاسي، وقال:

«نعم.. نعم.. لقد حجزنا منذ شهر هاتفيًا.. لقد تزوجنا منذ ثلاثة أي...»

هنا قاطعته الفتاة في عصبية وبلهجة آمرة:

«(محمد).. فلتنه الإجراءات.. ليس من شأنه أن نحكي له قصة حياتنا!»

قال في حرج:

«كان يسأل فقط.. ليس هذا...»

«ليس عمله أن يسأل.. هلم انته بسرعة..»

احمرت أذناه وراح يخرج هويته.. لا أتمتع بفراسة خاصة لكن توقعاتي كانت صادقة إلى حد لا يوصف.. حياة هذا الفتى ستكون سلسلة من الاستعباد، لكنه سينال من حين لآخر قبلة أو ابتسامة رضا فيكتشف أن الحياة رائعة، وأن هذا أفضل العوالم الممكنة.. إن

هـذه البنيـة العملاقـة تحتـاج إلى الجنس بوفـرة. الكثير منـه. لهذا يمكنه أن يغفر الكثير لـ(موضوعه الجنسي) على رأي الخواجة فرويد..

إلى أن يتسرب الملل لحياتهما طبعًا!

بدأت أملأ البيانات من بطاقته التي لم تصر عائلية بعد..

(محمد السماحي).. مدير شركة دعاية.. ٢٩ سنة.. قاهري... بطاقة السيدة تقول إنها (مها الغندوري).. من دمنهور.. ٢٤ سنة... هناك قسيمة زواج ألقيت عليها نظرة ثم أعدتها له...

لم أجد غرفة خالية سوى.. سوى الغرفة ٢٠٧.. المشكلة في هذه الغرفة أنها تروق لمن يراها أول مرة دائما.. لم يدخلها احد وطلب مني تغييرها.. إن منظور البحر من شرفتها مهيب حقًا.. لهذا عرفت انهما سيحبان هذه الغرفة.. هذه اللحظة فقط...

يجب أن اعترف انني لم أحبهما قط.. مسحة التعالي هذه مع السماجة وثقل الظل.. إنهما ينتميان لطراز الأزواج الغبية التي تعرف أنك لن تفهمها ولن تشبهها أبدًا.. كل هذا جعلني اشعر بلذة خفية لأنهما لن يجربان شيئًا مما في الغرفة ٢٠٧.. هذا ما يستحقان..

هكذا انصرفا نحو المصعد.. يحمل صندوق الماكياج كأنه حلاق يحمل عدة الصنعة..

التفتت إلى (سارة) التي لم ترفع عينيها عنهما قط.. وابتسمت لها في خبث فبادلتني الابتسامة..

قلت لها وأنا أغلق الدفتر:

«كالعادة.. فراسة لا تفشل أبدًا.. لابد أن لك جدًا من قبيلة (بني سليم)»

«قبيلة ماذا؟»

«تلك القبيلة العربية القديمة التي اشتهرت بالقيافة والفراسة.. لا عليك.. ما رأيك في تلك المرأة القادمة إلى هنا؟»

التفتت (سارة) لتحقق انتصارًا آخر بعد ما فتحت الدماء شهيتها للمزيد.. المرأة القادمة كان تمييز طرازها سهلاً.. شعر أشيب.. أرستقراطية.. وقور.. عصبية.. إنها من ذلك الطراز من البشر الذي.........

ينظر إلى الأرض ويصرخ!!

بالفعل سمعنا صراخها وهي تشير إلى الأرض وتهتف بلغة عربية ملوثة بالفرنسية:

«من أين جاء هذا الدم؟.. مون ديو.. هل هناك من جرح هنا؟؟!»

●●●●●

قطرات الدم الحمراء التي تتناثر على سيراميك المدخل والبساط الفاخر في اللوبي.. كم إن منظرها مرجف يدعو للتوجس..!..

يمكنك أن ترى أنها تتجه في خيط شبه متصل نحو المصعد..

ناديت عامل النظافة وهو.. وقتها.. شاب من الزقازيق يدعى (شعبان).. طلبت منه أن يمسح هذه القطرات بسرعة.. ليس من شأن فندق محترم أن تتناثر قطرات دم في مدخله..

كانت القطرات متباعدة توحي بأن صاحبها لم يكن ينزف بغزارة، أو إنه كان يمشي بسرعة.. على كل حال لا أنكر أن هناك من كان ينزف، ومن الصعب أن تعرفه لأن العشرات دخلوا أو خرجوا من هذا المصعد.. ما لم يطلب أحد عونًا أو يطلب الإسعاف فلن تعرفه أبدًا..

قالت (سارة):

«على الأرجح هناك من جرح يده وهرع إلى غرفته ليضمدها.. وهذا يدل على أن الإصابة طفيفة»

نعم.. أوافقك.. لكن لكم توترت!.. غريب شأن هذا السائل الدم، ولكم من معان يبعثها وهو داخل العروق وخارجها.. إنه يرمز للحياة والصحة ما دمت لا تراه، فإذا رأيته فنحن نتحدث عن الموت والجراح والمستشفيات والأطراف المبتورة والصدمة و.... و..

طلبت من (شعبان) أن ينظف المصعد لأنه على الأرجح سيجد تجمعًا من القطرات فيه، ثم عدت أواصل عملي..

في الثالثة عصرًا ساد الهدوء المكان.. لقد رحل من رحل وسكن غرفته من سكن.. الفترة الهادئة التي أنعم فيها بالسلام ما بين الـ Check in والـ ... Check out

جلست أحل الكلمات المتقاطعة في الجريدة.. هنا دق جرس الهاتف..

كانت هذه هي الغرفة ٢٠٧.. العريسان ثقيلا الظل..

جاء صوت الرجل يسألني من دون تحيات ولا استئذان:

«هل يوجد ثلج هنا؟»

سؤال غريب.. ما لم يكونا راغبين في شرب الشمبانيا على طريقة أفلام يوسف بك وهبي.. القفاز الأبيض والتفاح.. قلت له:

«هناك ثلاجة في الغرفة.. ألا تعمل؟»

قال في ضيق:

«تعمل.. لكننا بحاجة إلى كمية أكبر.. الطقس حار فعلاً..»

«سيدي.. هناك جهاز تكييف في الحجرة.. لم تسمع قط عن نزيل يطلب ثلجًا من أجل......»

قاطعني في حدة:

«أنت لن تجري معي تحقيقًا... هل هناك من يجلب لنا ثلجا؟.. اشتره من أي مكان وأضف الثمن إلى الفاتورة»

كنت أعرف أنه يستحيل الفشل.. ولن يلبث أن ينزل ليفتك بي لو قررت أن أطيعه..

وضعت السماعة شاعرًا بالحيرة والغيظ.. ليست هذه من مهام عملي.. لكني برغم هذا مكلف بأن أريح النزلاء.. هكذا ناديت الفتى (شعبان) وقلت له بلهجة رسمية سريعة إنني راغب في أن يبتاع بعض الثلج ويحمله إلى الحجرة ٢٠٧ حيث ينتظره عريسان جديدان في لهفة..

«لكننا لم نسمع قط عن....»

قلت في عصبية:

«اسمع.. كل هذه الحجج أعرفها وسمعتها ولا رد لي عليها.. فلتفعل ما أطلبه ولتأخذ بقشيشًا لا بأس به.. لا تستفزه لأنه من النوع فاقد التحكم نهائيًا في أعصابه»

هز رأسه في عدم اقتناع وغادر الفندق...

بعد عشر دقائق عاد وهو يحمل شيئًا ضخمًا مبتلاً على كتفه لفه في خيش وقماش.. طلبت منه طبعًا أن يستخدم السلم الخلفي لأن المنظر غريب بما يكفي..

هكذا صعد وغاب بضع دقائق.. ثم عاد ليجلس جواري في الاستقبال.. سألته عما حدث.. فقال:

«لم أدخل الحجرة.. فقط ظهر الرجل وأخذ مني ما حملته ودس بعض العملات في يدي.. كان يبدو ملهوفًا قلقًا..»

ثم مال يسألني في خبث وقد بدت على وجهه مخايل الأوغاد:

«قل لي.. أنت رجل متزوج.. فلماذا يحتاج عريسان جديدان إلى ثلج؟»

نظرت له في غباء.. طبعا لا أعرف.. لا تقدر أسوأ خواطري ولا أكثرها جموحًا أن تجد تفسيرًا.. لكنه كان مصرًا على أن العلاقة قوية وإن كان لا يعرفها، وإنني لا أفقه شيئًا في هذه الأمور برغم زواجي..

التفسير الجنسي للتاريخ.. تلك هي طريقة تفكير الناس جميعًا.. كأن العريس الجديد لا يصاب بالتهاب في اللوزتين ويحتاج إلى كمادات، أو يشتري سمك ثعبان يخشى أن يفسد بينما الثلاجة لا تتسع له.. أي شيء»..

في الخامسة عصرًا اتصل بي نزيل الغرفة رقم ٢٠٥ شاكيًا من أن رائحة الطابق كريهة..

«إنها لا تُطاق.. كان هناك جيفة.. لابد أن هناك قطة ميتة في مكان ما..»

قلت للفتى (شعبان) أن يصعد ويعرف مصدر تلك الرائحة.. لا بأس من أن يرش بعض المبيد..

«ولماذا أنا بالذات؟»

«لأنك هنا أمامي.. هيا»

بعد ربع ساعة اتصل بي نزيل الغرفة رقم ٢٠٩ ليقول إن هناك رائحة تضايق أطفاله.. فوعدته بأننا سنحل المشكلة حالاً...

بعد قليل عاد (شعبان) منهكًا فارتمى على مقعد جواري، ولم يتكلم لفترة.. سألته عما هنالك، فقال:

«لا شيء.. كانت هناك رائحة كريهة فعلاً لكني لم أعرف مصدرها، وقد اختفت فجأة بقدرة قادر.. لا توجد قطط ميتة.. المشكلة انتهت على كل حال..»

كنت قد جربت هذه المشكلة من قبل، وكان سببها حيوانًا ميتًا استقر في إحدى فتحات التهوية.. لابد لك أن تكون ذا خيال واسع في هذه المهنة.. لكن على قدر علمي لا تزول هذه الروائح من تلقاء نفسها.. سوف أبلغ فني التكييف غدًا...

هكذا انتهى هذا الموقف...

ما حدث بعد هذا وجدته غريبًا جدًا هو إنني لم أر العريسين قط لمدة ثلاثة أيام.. هما دومًا في غرفتهما.. فقط يطلبان المزيد من الثلج.. الأكل يُحمل لهما في الغرفة.. الصينية توضع أمام الباب.. لافتة (لا تزعجني) على الباب طيلة الوقت، مع طرد كل عاملة نظافة تقرع الباب في فترة النهار..

وسألت (سارة) عن رأيها فابتسمت في خبث.. قالت كلامًا كثيرًا لئيمًا عن الناموسية الكحلية وما إلى ذلك.. هذان عريسان لذا لا يتوقعن أحد أن يغادرا الغرفة للأبد..

لكنني لم أسترح لهذا التفسير..

قمت بإرسال فني التكييف مرة والكهربائي مرة إلى الغرفة، لكن مصيرهما كان الطرد في كل مرة.. لا أحد يقدر على دخول تلك الغرفة..

جربت أن أتلصص عليهما من الشرفة المشتركة التي تحتاج إلى الوثب فوق ذلك الحاجز، لكن باب شرفتهما كان مغلقًا..

وقفت في الردهة أفكر.. ربما كان الأمر أبسط مما تصورت، وكان هذان عريسين متحمسين لا أكثر، لكن شيئًا كهذا لم يمر بي في مهنتي من قبل.. لابد من أن يخرجا متشابكي اليدين ويمشيان على الكورنيش متظاهرين بالسعادة..

كنت مطرق الذهن أدير الاحتمالات في رأسي، عندما رأيت على الأرضية تلك البقع السوداء.. البقع السوداء التي كانت حمراء منذ أيام.. لا أحد يعنى بغسل البساط في الردهة، وهذا يعني أن تلك البقع ظلت هنا منذ يوم مجيء هذين..

من الواضح تمامًا أن هذه البقع، قطرات الدم، خرجت من المصعد لتمشي في الردهة.. بأناة لا تلاحظها إلا عين تبحث عنها، لتغيب في الغرفة ٢٠٧..

داخل الغرفة ٢٠٧..

الشخص الذي كان ينزف دمًا كان واحدًا من هذين..

ما معنى هذا؟

عريسان صموتان.. قطرات دم نازفة.. باب لا يفتح أبدًا.. الكثير من الثلج.. الغرفة ٢٠٧..

ورائحة عفنة!!

●●●●●

جالسًا إلى الكاونتر غارقًا في الأفكار السوداء، عدت أطالع بيانات هذين العريسين.

(مها الغندوري).. من دمنهور.. أنا من دمنهور.. الاسم يبدو لي مألوفًا بشكل غريب، لكن متى وأين؟..

لي صديق من دمنهور يدعى (عبد السلام الغندوري).. هذا اسم غير شائع فهناك احتمال لا بأس به أن تكون الفتاة قريبته.. أخرجت مفكرتي الصغيرة أبحث عن رقمه، ثم طلبته.. جاء صوته المنزعج يسأل عن المتكلم..

«أنا (جمال).. (جمال الصواف).. لا تقل إنك نسيتني..»

دوى صوته يسألني عن حالي وكيف افتقدني.. الخ... فقاطعته في نفاد صبر:

«هناك نزيلة تدعى (مها الغندوري).. عندنا في الفندق منذ ثلاثة أو أربعة أيام.. هل هي قريبتك؟»

فكر قليلاً ثم قال:

«ربما.. الأسرة كبيرة.. لو كان الأمر ملحًا فلسوف أتقصى الأمر.. يمكنك أن تطلبني بعد ساعة»

«إنه ملح فعلاً.. أرجو أن تولي الموضوع عنايتك.. أ.. سلم لي على (مروة) و(هاني)»

قلتها فقط لأتظاهر بأنني ودود ظريف.. فقال بلهجة عتاب:

«إنهما ليسا (مروة) و(هاني).. إنهما (عفاف) و(ضحى)..»

وما الفارق؟.. يريد أن أذكر اسم كل طفل لدى كل صديق لي.. المهم أنه عنده شخصًا ما وهذا الشخص له اسم..

«ليكن.. ليكن.. تذكر يا (عبد السلام).. اسمها (مها الغندوري).. (مها).. هه»

كنت أتكلم وأنا منحن على الكاونتر.. عندما وضعت السماعة ورفعت رأسي وجدت أنني أحدق في العينين الحادتين المذعورتين لـ(محمد السماحي)!.. العريس الغامض!

هل سمع المكالمة؟.. هل عرف إنني أسأل عن زوجته؟

لا أريد أن أكون موجودًا لو اتضح أن الإجابة نعم..

لكنه لم يبدأ بضربي.. فقط قال وتفاحة آدم تتواثب في عنقه:

«صيدلية.. هل هناك واحدة قريبة؟»

«هناك الكثير.. لكن.. هل هناك مشكلة ما؟»

فكر قليلاً ثم قال:

«فورمالدهايد.. فورمالين.. هل أجده هناك؟»

«يمكنك أن تسأل لكن.. لا أعتقد إنه يباع في الصيدليات.. ولكن لماذا؟»

قال في حدة وهو يكور قبضته:

«هذا ليس من شأنك من فضلك..»

وسرعان ما غادر الفندق.. لا أعرف مشكلته لكنه في ورطة كما هو واضح من توتره..

هنا دق جرس الهاتف.. نزيل الغرفة رقم ٢٠٥ من جديد يطلق الكثير من السباب.. في النهاية فهمت مشكلته:

«لو لم تجدوا حلاً لهذه الرائحة الكريهة فلسوف أغادر فندقكم.. سأقدم بلاغًا لشرطة السياحة أولاً..»

الأمور تزداد سوءًا.. ناديت عاملي نظافة.. (شعبان) لم يكن موجودًا.. وطلبت منهما أن يصعدا للطابق الثاني ولا يتركا حجرًا فوق حجر قبل معرفة مصدر الرائحة..

هكذا صعد الرجلان.. غابا بضع دقائق ثم دوى جرس الهاتف من جديد.. كان هذا صوت أحدهما يقول:

«نعتقد أن الرائحة تأتي من الغرفة رقم ٢٠٧ لكن النزيلة تأبى أن تفتح..»

«سآتي حالاً..»

كنت أعتقد هذا على كل حال.. أنت تعرف أنني كنت أعتقد هذا.. ليس لأنني عبقري، ولكن لأن أي شيء مريب يحدث في هذا الفندق يبدأ من الغرفة ٢٠٧ أو ينتهي فيها..

استقللت المصعد إلى الطابق الثاني ومشيت في الردهة حتى بلغت تلك الغرفة.. بالفعل كانت هناك رائحة عضوية قوية جدًا مما دعم نظرية القط الميت في ذهني.. دققت الباب عدة مرات.. في النهاية سمعت صوتًا واهنًا.. صوتًا غريبًا متآكلاً من وراء الباب يقول:

«لا تحاول فلن أفتح إلى أن يعود زوجي»

قلت في كياسة:

«سيدتي.. نحن نريد الاطمئنان على جهاز التكييف.. لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة»

قالت في حزم ولكن بذات الصوت الواهن:

«لن أفتح.. لو حاولتم الدخول لأبلغت الشرطة..»

ثم انخرطتْ في سعال طويل حتى أوشكتُ أنا على الاختناق..

«لا داعي لهذه التعقيدات.. سوف ننتظره..»

نظر لي أحد العاملين متسائلاً عما سنفعله فهززت رأسي.. ليس بوسعنا عمل شيء لأن ترك رائحة العفن أفضل بكثير من الفضيحة التي ستسببها لنا لو اقتحمنا الحجرة.. طلبت منهما رش بعض المبيدات والفينول إلى أن نتبين الأمر.

عدت إلى الاستقبال وأنا أتمنى أن ينتهي هذا اليوم.. سوف أتصل بالخواجة (مايكل) الباراية.. أعتقد أن الطرف الذي سيطلب الشرطة هو نحن.

نظرت إلى ساعتي ثم عدت لطلب (الغندوري).. هل توصل إلى شيء؟

قال في لامبالاة:

«أعتقد إنك مخطيء.. لا توجد في أسرتنا من تدعى بـ(مها الغندوري)..»

إذن أنا قد عدت لنقطة الصفر.. هنا واصل الكلام:

«بعبارة أدق لم تعد هناك من تدعى كذلك»

«لا أفهم..»

«كانت هناك واحدة وقد ماتت.. بيني وبينك هذا كلام لا يُقال.. لكنها مأساة حقيقية.. فتاة مدللة في الرابعة والعشرين حاول أهلها أن يرغموها على الزواج من عريس لقطة من القاهرة يهيم بها حبًا.. مدير شركة دعاية.. تحدد موعد الزفاف.. بل إن العريس حجز فندق شهر العسل.. هنا قطعت الفتاة شرايينها وماتت.. انتحرت.. هل تريد معلومات أخرى؟»

كان رأسي يدور حتى شعرت بأنني سأفقد وعيي..

قلت له وأنا أتماسك:

«لا شكرًا.. سلم على (عمرو) و(شريف)..»

قال بلهجة عتاب:

«إنهما ليسا (عمرو) و(شريف).. إنهما (عفاف) و(ضحى).. من الواضح إنك لن تكف عن عادة الغباء»

ناديت العاملين كي يلحقا بي.. وهرعت إلى الطابق الثاني. الغرفة ٢٠٧ اللعينة.. بحثت عن (الماستر كي) ومددت يدي للباب.. وصحت: أنا المسئول الوحيد عن هذا العمل.. أنتما غير مسئولين..

صاح أحد العاملين:

«لكن.. هذا سيجلب الكثير من المشاكل حتمًا..»

لكني لم أبالِ.. عالجت القفل واقتحمت الحجرة.. بالفعل لم أسمع صوت صراخ أو احتجاج... ما رأيناه سيظل في كوابيسي ما حييت.. فقط أذكر أن أحد العمال كان يفرغ معدته، وأن أحدهما سقط على الأرض وغطى وجهه، وأن الرائحة كانت كريهة إلى درجة أنني استطعت فتح عيني بصعوبة..

لقد تأخر الزوج عن إحضار الفورمالين.. تأخر أكثر من اللازم.. وتبين بعد ذلك أنه لم يعد به قط..

لو قلت إنني فهمت كل شيء لكنت كاذبًا.. ما زال لغز هذه القصة يحيرني.. لكني استجمعت أطرافًا عديدة.. أطرافًا عن العريس الذي انتحرت عروسه كي لا تكون له.. لكنه صمم على أن تكون له برغم كل شيء، وعلى أن يتم شهر العسل في المكان والزمان المختارين.. شحوبها الشديد.. قفازان طويلان في عز الصيف.. قطرات دم عبر المدخل والمصعد وحتى الغرفة اللعينة.. محاولة إنقاذ الأنسجة بالثلج.. الرائحة الكريهة.. البحث المحموم عن الفورمالين.. لا أحد يغادر الغرفة حيث يقام الزفاف الشنيع الذي لم يخطر ببال الشيطان ذاته..

هناك انحراف جنسي شهير اسمه (النيكروفيليا) حيث يسرق المريض جثث الموتى ليعاشرها، وغالبًا ما يكون حارس مقبرة أو عاملاً في مشرحة، أو ربما يقتل ضحاياه بنفسه ليوفر المادة الخام.. كل أطباء النفس يعرفون (النيكروفيليا)، لكنهم لم يصطلحوا بعد اسمًا لهذه التجربة التي شهدتها والتي ستفعم كوابيسي بالهول حتى الممات..

هدية أخرى رهيبة تقدمها لي الغرفة ٢٠٧....

تلفزيون الواقع

«التلفزيون تالف في الغرفة ٢٠٧..»

يهرع الكهربائي (سليمان) إلى الاستقبال، ويقف جواري على الكاونتر.. يدون بعض البيانات في دفتر صغير يحمله، ثم يخرج لفافة تبغ ويقدم لي واحدة أخرى.. يحكي لي دعابة بذيئة سمعها.. لا أذكر ما هي لكنني أضحك كثيرًا..

أقول له أن ينتهي بسرعة لأن نزيل غرفة ٢٠٧ لم يكف عن الشكوى..

ينظر لساعته ويطلق سبة.. من هذا المتحمس الذي يريد مشاهدة التلفزيون في الثامنة صباحًا؟.. كل خلق الله يتناولون الإفطار ويغادرون الفندق في هذا الوقت..

(سليمان) شاب نحيل صعيدي له لهجة محببة للنفس.. وهو يعرف أنها سر جاذبيته لذا لا يحاول تغييرها أبدًا.. إنه لم يتخلَّ عنها كنوع من الدفاع عن ذكائه.. أو ليكون صعيديًا جدًا.. هذا يحبب الناس له على الفور..

قال لي وهو يستند على الكاونتر:

«تلفزيون الغرفة ٢٠٧؟.. هل تعني ما تقول حقًا؟»

«بالتأكيد»

«هل قمتم بوضع تلفزيون فيها؟»

هنا نظرت له في دهشة.. هذا حق.. منذ الحادث الأخير الذي سبب ماسًا كهربيًا في الغرفة منذ أسبوعين، لم نضع فيها جهاز تلفزيون، ولم يقم أحد فيها على كل حال.. (سليمان) لم يكن موجودًا وقتها لأنه كان عند أهله في قنا، لكنه عرف أن خللاً كهربيًا مريعًا وقع فيها... لم أحك لك هذه القصة لكن ربما أحكيها يومًا ما.. لو كان علي أن أحكي كل حادث غريب وقع في الغرفة ٢٠٧ لاحتجت إلى عدة مجلدات..

المشكلة فيما يتعلق بهذه الغرفة أن الناس تنسى، وأنه لا أحد يبقى هنا طويلاً... أمواج تعلو وتهبط.. تروح وتجيء.. لهذا لا يوجد تراكم خبرات.. الوحيد الذي يلعب دور الذاكرة وتتراكم عنده الخبرات هو العبد لله، وطبعًا عم (مينا) المحاسب و(مصطفى) عامل المصعد.. باختصار: الشيوخ الذين لا يصدقهم أحد..

من وضع جهاز تلفزيون في الغرفة؟.. ومتى؟.. لا أعرف.. لكني لست العامل الوحيد في هذا الفندق.. لربما فعل ذلك آخرون..

قلت له أن يصعد ليرى التلفزيون ويكف عن الثرثرة، وهكذا استقل المصعد.. بالطبع لا يحمل حقيبة على سبيل (الحرفنة).. فقط في جيبه بكرة شريط لاصق، وهناك مفك اختبار في جيب قميصه.. الكهربائي الذي يحمل حقيبة أدوات يبدو بالنسبة له رقيعًا قليل الخبرة.. لابد من أن يصعد ويكتشف أن المشكلة تحتاج إلى أدوات، من ثم ينزل ليحضر أدواته ويعود.. لابد من ضوضاء و(آكشن) وذهاب ومجيء.. هذه هي طريقته في الإحساس بالذات..

غاب بضع دقائق، ثم عاد ليجلس جواري..

سألته عما هنالك فقال:

«لا شيء.. التلفزيون يعمل جيدًا.. إنه جديد.. فقط هما غبيان لا يعرفان كيف يولّفان القنوات..»

ثم تثاءب ووقف قائلاً:

«سأشتري بعض الفول والطعمية.. هل ترغب في أن أبتاع لك بعضها معي؟»

«للأسف لا.. موظف استقبال الفندق لن يقف على الكاونتر يأكل الفول و(يدش) بصلة.. معنى هذا أن أطرد بعد عشر دقائق»

«ولم لا؟... هل هؤلاء القوم لا يفطرون؟»

وغادر اللوبي خارجًا بينما واصلت أنا عملي..

بعد قليل دق جرس الهاتف.. سمعت صوتًا مبحوحًا يسألني:

«هل يمكن أن تغيروا التلفزيون في غرفة ٢٠٧ أو تأخذوه نهائيًا؟.. إنه تالف..»

«لكن الكهربائي قال إنه.. ليكن.. سوف أرسل من يبدله حالاً..»

ووضعت السماعة وبدأت الاتصال بخدم الغرف، حينما عاد الهاتف يدق من جديد:

«لقد غيرت رأيي.. أرجو أن تتركه..»

«ليكن..»

هما إذن ليسا غبيين كما قال (سليمان).. هما مخبولان تمامًا..

هكذا وضعت السماعة وتثاءبت.. لقد انتهت ورديتي، وأنا بانتظار ذلك الشاب (وائل) والفتاة المبهرجة (عزة) كي يقفا مكاني..

هنا رأيت نزيل الغرفة ٢٠٧ قادمًا..

جاءا أمس ... إنهما زوجان من القاهرة.. في الأربعين هما ومن الواضح أنهما لم ينجبا بعد أو لم ينجبا قط.. الزوج مهندس يدعى (محسن) وهو كما يوحي اسمه التقليدي فعلاً.. إنه من الطراز الذي ينتجونه بالجملة بشاربه الكث ونظارته وبشرته السمراء، وهي على قدر من الجمال وإن كانت غير سعيدة على الإطلاق. تسألني كيف عرفت هذا.. بعد كل هذه السنين تصير هذه الأمور بديهية بالنسبة لموظف الاستقبال.

هذان من القوم الذين يصطافون ليس لأنهم يريدون ذلك، بل للحفاظ على عادة.. على مظهر اجتماعي.. المهم إنهما يفعلان ذلك بينما لا يرغبه أحدهما..

طلبا الغرفة ٢٠٧ لأنها تواجه البحر، وقدرت أنه لن يحدث لهما شيء.. هما طبيعيان تمامًا فلا أتوقع أن تحب الغرفة اللعب معهما.. فقط يجب ألا يعرفا بأمر ذلك الحادث منذ أسبوعين.. هذا شيء طبيعي.. لكني أعتقد أن الزائر لو بحث جيدًا لوجد منتحرًا أو قتيلاً سيعرفه في كل غرفة فندق في كل مكان من العالم.. معنى التشاؤم والتطير في مهنتنا أن ينتهي بيزنس الفندقة.. برغم هذا ما زلنا حريصين على ألا نأخذ غرفة رقم ١٣.. حريصين على ألا يعرف أي مخلوق ما نعرفه عن الغرفة ٢٠٧ ...

جاء نزيل الغرفة ٢٠٧ إلى مكاني، فهز رأسه محييًا واستند على الكاونتر وتثاءب وقال:

«خزانة الثياب..»

آه!.. لم أتوقع هذا!.. إنه يقترب كثيرًا جدًا من منطقة الخطر.. لذا سألته ما لها..

«هناك خلل فيها. لماذا تنفتح تلقائيًا كلما أوصدت الباب بإحكام؟»

قلت في براءة:

«هذه مشاكل نجارة.. لا بأس.. سأرسل النجار لغرفتك..»

لكني كنت أعرف يقينًا أن هذا ليس خلل نجارة.. خزانة الثياب بالذات لها علاقة قوية بما حدث منذ أسبوعين.. وعلى قدر علمي هي لم تنفتح تلقائيًا..

لم يبد الرجل مهتمًا بهذه النقطة بالذات، بل كان يريد الانتقال إلى الأهم:

«والتلفزيون.. أنا متأكد من أنه يلتقط موجات الريموت القادمة من غرفة مجاورة.. لقد انفتح ثلاث مرات تلقائيًا خلال الليل..»

وكيف لو عرف إنه.. على الأرجح.. لا يوجد تلفزيون في غرفته أصلاً؟.. لكني فضلت الصمت.. الموظفون الذين لا يخرسون ويحبون التظاهر بالعلم ببواطن الأمور، يفقدون وظائفهم أكثر من سواهم.

«يمكنني أن أغير الجهاز لك يا سيدي..»

«لا»

قالها في عصبية.. ثم أردف:

«نوعية البرامج ذاتها غريبة.. من أين يأتي هذا الإرسال؟»

كانت هناك مشاكل مزمنة لأن الكابل الخاص بالفندق قد يلتقط إرسالاً لا نريده.. بعض القنوات اليونانية أو الإيطالية قد تتسرب، وما يتسرب يكون فيلمًا عاريًا دائمًا. فيفاجأ زوجان محترمان بأن [illegible] البرامج جالس يتابعه الشخص العيني ولعابه يسيل.. هكذا نتلقى الشكاوى كانتا [illegible] ذلك.. بالطبع لا يشكو الأب نفسه من مشكلة كهذه..

«نعم.. نعم.. أنت تعرف ألعاب البحر مع موجات الإرسال التلفزيوني.. هذه القنوات العارية قد...»

«لا أتكلم عن قنوات عارية..»

ثم ابتلع ريقه وقال:

«الإرسال الذي تراه على التلفزيون هو لقطات طويلة من حياتنا.. حياتي أنا وزوجتي!»

*****

أنت محظوظ يا سيدي..

لقد اخترت الشخص الوحيد المستعد لأن يصدق ما تقول.. الشخص الذي يصغي لك فلا يطالبك بالذهاب لطبيب نفسي أو وضع كسرولة على رأسك، وبالتأكيد لن ينادي موظفي الفندق ليتفجروا في الضحك عليك..

أنا أعرف أنك صادق.. لكنني لن أصارحك بهذا، ولسوف أذهب معك إلى الغرفة لألقي نظرة، لكني فعلاً مندهش من هذه الغرفة التي لا تنتهي ابتكاراتها عند حد..

فعلاً فتح المهندس (محسن) الباب، وصاح بصوت عال:

«(نادية)!.. جئنا لنفحص التلفزيون»

فجاء صوتها من الحمام تقول إنها قادمة..

دخلت الغرفة في تردد، وكما تعرف أنا صرت مقلاً جدًا في دخولها منذ زمن.. كان الفراش غير مرتب، وعليه روب ومنشفة ومنامة.. هناك جريدة ملقاة على الأرض.. رائحة التبغ تملأ المكان.. جو عام يوحي بالاستيقاظ، والشرفة المطلة على البحر مفتوحة يأتي منها هواء منعش..

اتجهت إلى التلفزيون ففتحته.. لحظات ثم ظهرت على الشاشة ماما (فلانة) أو ماما (علانة) يلتف حولها عدد من الأطفال فاغري الأفواه ظاهري البلاهة.. وهي تحكي لهم عن الثعلب الذي التهم البطة.. ربما لم يكونوا بلهاء قبل أن تبدأ هي.. نفس البرامج المعتادة المملة

«ما الذي تتكلم عنه يا سيدي؟»

نظرت له فقال في حماس مجنون:

«أ[illegible]كذلك.. الأمر مقتصر على برنامج واحد.. هذا البرنامج مخصص لسرد مشاهد من حياتي أنا وزوجتي»

كنت أصارحه برأيي في أن الهستيريا تصيب الرجال أحيانًا، لكني ابتلعت لساني وقلت بطريقة الفندقة المهذبة الحازمة (ولسبب ما توحي هذه الطريقة في تهذيبها بالجفاء):

«التلفزيون ممتاز يا سيدي.. لو أردت تغييره فنحن تحت أمرك»

هنا شعرت بحركة.. رأيت الزوجة خارجة من الحمام تلبس روبًا وقد لفت شعرها في منشفة.. نظرت لي نظرة طويلة لم أفهم معناها.. ثم قالت:

«اسمع.. نحن نشك في أن هناك من يراقبنا بدائرة تلفزيونية مغلقة، ويذيع هذا الذي يصوره على الشاشة ربما عمدًا أو عن طريق الخطأ..»

لسبب ما تعتقد هذه السيدة أن حياتها مثيرة لدرجة أن نحولها إلى برنامج لتسلية النزلاء.. لم تكن نعرف (تلفزيون الواقع) ولا (الأخ الأكبر) في هذا الزمن، لذا بدت لي الفكرة مضحكة سخيفة.. ما هو الخط الذي يفصل هذه الأفكار عن البارانويا؟..

صحت في حماس:

«لا شيء من هذا.. التلفزيون سليم.. ما تراه هو برامج الصباح السخيفة المعتادة».

«ربما تنبهوا لهذا الخطأ..».

«سيدتي.. نحن نتكلم عن تهمة التلصص على نزلاء.. هذا كلام خطير جدًا.. لابد من أن تثبتي ما تقولين وأن تخبريني أين تلك الكاميرا..».

«لا نعرف.. كاميرا التلصص يجب أن تكون غير مرئية..».

عدت أكرر وأنا أشعر بذعر ممزوج بالغضب نتيجة للهجة الحصار هذه:

«هذا آخر ما عندي.. يمكن أن أغير لكما هذا الجهاز.. يمكن أن أغير الغرفة».

قال الزوج وهو يعبث في جهاز الريموت:

«بالعكس.. يجب أن يبقى هنا إلى أن نفهم ما يدور..».

ثم هز إصبعه محذرًا في وجهي:

«لو اتضح أن هناك من يتجسس علينا فسوف أنسف الفندق نسفًا.. سأنسف كل هذا الفندق».

«لو اتضح هذا..».

الحق إن ما يقوله شديد الغرابة.. هلوسة.. لكن هل هناك هلوسة ثنائية؟.. من الواضح أن الزوجة رأت ما رآه..

هكذا.. وقد تأكدت من أنهما لا يريدان تغيير شيء.. غادرت الغرفة.. وقد صرت على أتم استعداد لتصديق سيناريو الجنون..

عدت إلى الاستقبال حيث كان (مصطفى) عامل المصعد يجلس مكاني إلى أن أعود.. وكان الشاب (وائل) والفتاة المبهرجة (عزة) قد جاءا على كل حال، لهذا استعددت لإنهاء هذه الليلة السوداء..

هنا فوجئت بنزيل الغرفة ٢٠٧ يظهر من جديد.. من دون كلمة جرني من ذراعي بعيدًا عن الكاونتر، ليتكلم على راحته، وقال:

«اسمع.. ليس الأمر متعلقًا بالتلصص علينا هنا والآن.. هناك من كان يتلصص علينا منذ زمن في القاهرة.. المشاهد التي أراها على الشاشة تخص زوجتي.. أراها أيام الخطبة أراها في عملها.. أراها مع أسرتها.. هل عندك تفسير؟».

«هل ترى هي ذات المشاهد يا سيدي؟».

«لا.. عندما تقف أمام جهاز التلفزيون ينقطع هذا البث.. لكن عندما أبتعد أنا ترى هي بدورها مشاهد من حياتي..! هذا ما تقوله..».

كان هناك تفسير واحد هو أنهما مخبولان لكن هذه ليست من التفسيرات التي يقولها العاملون في الفنادق للنزلاء.. هكذا ابتلعت لساني وعدت أكرر في عناد:

«لو أردت أن تغير الجهاز فنحن تحت أمرك».

نظر لي والعرق يحتشد على جبينه، وقال:

«هذا ليس حلاً.. ما أريده هو التفسير...».

ثم ابتعد بعينين زائغتين وقدمين أكثر زيغًا لو أمكن أن تقبل تعبيرًا كهذا..

كنت متجهًا إلى حجرتي عندما وجدت السيدة أمامي!.. لن أصعد لأستريح في هذا اليوم على ما أعتقد.. كانت تلبس بلوزة غير مهندمة وبنطلونًا ضيقًا.. لبدت كصبي مزعج في مدرسة إعدادية.. وبدا لي أنها وضعت على جسدها أي شيء وجدته لتستطيع اللحاق بي والكلام معي..

قالت لي وعيناها واسعتان يقظتان:

«الآن أطلب التفسير.. لا تقل لي إننا نخرف».

«لن أقول أي شيء يا سيدتي ولا أملك تفسيرًا..».

قالت في صبر وهي تحاصرني بالمعنى الحرفي، حتى إن ظهري صار ملاصقًا للجدار:

«اسمع.. جئنا هنا لنجد هذه الظاهرة الغريبة.. عندما أجد نفسي وحدي في الحجرة أجد التلفزيون ينفتح تلقائيًا، وعلى شاشته مشاهد عدة من حياة زوجي.. بعض هذه المشاهد عشتها معه وبعضها لم أره على الإطلاق.. مثلاً موضوع شقة المعادي.. زوجي لديه شقة في المعادي؟.. مدام (كاميليا) الأرملة اللعوب التي يخرج معها دون علمي، وموضوع التوكيل الذي يسرقه من خزانة ثيابي ليسحب به مالي من المصرف.. هل تعرف ما يفعله بمالي؟.. ينفقه على المدام (كاميليا) طبعًا.. هناك من يراقب زوجي ويهمه أن أعرف هذا كله..».

إن الأمور تزداد تعقيدًا.. قلت لها:

«لا أعرف شيئًا عن هذه الأمور، ولم أسمع عن مدام (داليا) هذه..».

«(كاميليا).. اسمها (كاميليا).. هذه اللعبة مقصود بها الابتزاز.. تصوير الناس دون علمهم جريمة لا يمكن أن يكون هدفها إلا الابتزاز».

ثم بللت شفتها السفلى بلسانها كأنها في نوبة ارتفاع سكر وقالت:

«عندما يدخل الحجرة تتلاشى هذه المشاهد.. لا يعرف ما أراه.. لكنه يقول إنه يرى مشاهد خاصة بي أنا.. طبعًا هذه المشاهد لا أراها.. إنه الآن في الحجرة يشاهد التلفزيون ويحرق السجائر، وعيناه تزدادان احمرارًا...»

قلت متوسلاً:

«سيدتي.. لا داعي للمزيد.. سوف نبدل التلفزيون لكما في ثانية.. إن الغرفة ٢١٦ سوف تخلو بعد ساعة، ويمكنكما أن...»

قالت في توحش وهي تضغط على أسنانها:

«هل تعتقد أن التخلي عن هذه الفرصة سهل حقًا؟.. مستحيل أن نترك هذا التلفزيون.. إن دراما الواقع هي الأمتع الآن..»

ودون كلمة أخرى ابتعدت عن تعبيرها كاسف حزين..

سوف تحدث مصيبة هنا.. أنا أعرف ذلك.. أنا على يقين منه.

●●●●●

عرفت فيما بعد أنهما ظلا في الغرفة حتى السابعة مساء..

لم يتحركا خطوة ولم يخرجا ولم يطلبا خدم الغرف..

فقط عندما تسلمت ورديتي قال لي الشاب (وائل) والفتاة المبهرجة (عزة) إن خناقة مريعة نشبت بين الزوجين حتى إن النزلاء اتصلوا بهما.. قالوا إن نزيلي الغرفة ٢٠٧ يصرخان كالمجانين.. صعد رجل الأمن إلى الطابق الثاني ليجد زحامًا حول الغرفة المفتوحة، وكان المهندس (محسن) يصيح بأعلى صوته أن زوجته أنانية وأنها تطبق على روحه كالكابوس.. بينما هي تريد منه أن يحل عنها بعض الوقت كي تشاهد التلفزيون على راحتها..

قالت الفتاة المبهرجة (عزة):

«لا أفهم كل هذا الحماس لمشاهدة التلفزيون.. والغريب أن كل واحد يريد الانفراد به.. لا أرى في البرامج ما يستحق كل هذه الضوضاء..»

قلت لها في خبث:

«إن الدراما تزداد واقعية، وقد فتنت الناس.. يشعرون بأنهم يرون حياتهم على الشاشة».

«أنت تتكلم عن الدراما الفرنسية أو الأمريكية.. لو دفعوا لي مالاً لا أرى هذا التخلف العقلي لرفضت..»

المهم أن النزلاء نجحوا في إقناع الزوجين بالهدوء.. وقد تطوع أحد الأشخاص الذين يعرفون ما ينبغي عمله بأن يصحب الزوج معه بعض الوقت خارج الفندق.. لم تنتظر الزوجة ولم تشكر أحدًا أو تعتذر لأحد.. في ثانية واحدة كانت قد فتحت جهاز التلفزيون ووثبت لتجلس على الفراش، ثم تذكرت أن الباب مفتوح فنهضت لتغلقه في وجوه الفضوليين..

طبعًا كان التفسير واضحًا لي وإن لم أبتلعه.. ما دام تواجدهما معًا يفسد كل شيء، فمن الأفضل لكل منهما أن ينفرد بالشاشة.. كل واحد يريد معرفة أسرار الآخر بينما وجود الآخر يمنعه من هذا..

بعد نصف ساعة عاد الزوج مسحوق الوجه وألقى علي نظرة ثم اتجه إلى المصعد..

جلست أفكر في هذه القصة.. ولسوف يعود إلى العزلة وسوف تتلاشى الصور.. ماذا دهاني؟.. إنني أفكر مثلهما وأقول ما يقولان..

لكن كيف أستطيع التفكير بطريقة أخرى؟

أشعلت لفافة تبغ ورحت أتأمل الدخان المتصاعد.. هنا دق جرس الهاتف.. نزيل الغرفة المقابلة للغرفة ٢٠٧ يشكو.. النزيلان في ٢٠٧ لا يكفان عن الشجار..

طلبت من رجل الأمن أن يصعد ويطلب منهما في تهذيب أن يخفضا الصوت قليلاً..

عاد لي بعد قليل وقد بدا عليه الاستمتاع بهذا كله.. قال لي وهو يجلس على مقعد وثير:

«إنهما عصبيان جدًا.. يتهمها بأنها تخونه وهي تتهمه بأنه يريد قتلها.. سمعت كل أسرارهما وأنا أقرع الباب.. في النهاية فتح لي الباب وكان وجهه أحمر كالطماطم.. قلت له أن يخفضا الصوت قليلاً، فقال لي في غلظة إن هذا ليس من شأني.. وأغلق الباب في وجهي بعنف.. ثم عاد يتهمها بكل شيء.. بألفاظ لا أعرف كيف أكررها مع إنني ذو لسان بذيء أصلاً..»

كنت أنا أفكر..

القصة واضحة.. الغرفة ٢٠٧ تلعب لعبة مسلية مع هذين الزوجين اللطيفين.. كل زوجين في العالم يداريان أسرارًا عن بعضهما.. لو قدر لكل منهما أن يعرف أسرار الآخر.. التافه منها والمهم.. عندها يفقد التحكم في شعوره..

دعك من الضغط العصبي الشديد المتمثل في رغبة كل منهما أن يتخلص من الآخر ليشاهد التلفزيون على راحته.. هذا عامل آخر..

أعتقد أن جريمة قتل ستحدث هذه الليلة.. القصة واضحة تمامًا..

هذه هي لمسة الغرفة ٢٠٧ المباركة..

هكذا طلبت سليمان الكهربائي الصعيدي الشاب.. جاءني وهو يردد موالاً صعيديًا لم أفهم حرفًا واحدًا من كلماته.. فقلت له:

«سليمان.. لأسباب لا أستطيع ذكرها أرغب في أن تقطع الكهرباء عن الغرفة ٢٠٧..»

«هل جننت يا ولد عمي؟..»

«ليكن.. ربما جننت.. لكن هل يمكنك أن تفصل الكهرباء عن التلفزيون وحده.. أريده ألا يعمل هذه الليلة.. لا أريد أن تقطع الإرسال عنه بل أريده أن يتحول لقطعة من البلاستيك.. أريد أن تفعل هذا من دون أن تدخل الغرفة..»

فكر قليلاً وراح يجري بعض الحسابات في ذهنه، ثم هز رأسه..

«ممكن.. أعرف من أين تأتي كهرباء الغرفة.. يمكن أن أقطع السلك الخارج من لوحة التوزيع.. سيكون هذا مؤقتًا طبعًا على أن أعيد لحامه في الصباح..»

«افعل هذا الآن.. أرجوك»

هكذا هز رأسه وهو غير فاهم واتجه إلى السلم قاصدًا الطابق الثاني.. كالعادة لا يحمل إلا المفك والشريط اللاصق وطنًا من الثقة بالنفس..

جلست أتأمل سيجارتي التي أوشكت على التفحم من دون أن أظفر منها إلا بنفسين..

وفجأة تصلبت.. هذا الموقف يبدو مألوفًا.. نفس ما حدث منذ أسبوعين مع اختلافات عديدة.. في تلك المرة كانت هناك شكوى من ضوء الأباجورة الذي يتوهج طيلة الوقت.. كيف نسيت؟

هرعت إلى المصعد أستقله إلى الطابق الثاني..

ورحت أركض في الردهة كالمجنون.. الممرات خالية والغرف خالية.. في هذه الساعة يندر أن يتواجد أحد في غرفته..

أين لوحة التوزيع تلك؟.. أين ذهب ذلك التعس؟

هناك عند نهاية الممر قرب سلم الطوارئ وجدته واقفًا.. باب لوحة توزيع الكهرباء مفتوح، وضوء الردهة ينبض كقلب رضيع.. بينما هو يحتضن الباب في حنان غريب.. رأيت عينيه الجاحظتين وزاوية فمه التي ترتجف.. ماذا أفعل؟

وجدت مكنسة ملقاة على الأرض فحملتها وسددت له ضربة قوية ألقت به أرضًا.. سقط شاخص العينين وعلى وجهه الأسمر شبح ابتسامة كأنما انتشى من العناق..

لا يتنفس.. ارتميت على صدره ورحت أضرب قلبه بكلوة يدي، ثم ثبتت شفتي على شفته ونفخت.. يجب أن أحافظ على الإيقاع.. لا وقت لطلب نجدة..

فقط رفعت عيني لأنظر إلى اللوحة المفتوحة.. لا أفهم في الكهرباء لكن هناك فوضى عارمة.. الكثير من الأسلاك العارية.. من شبه المستحيل أن تفتح هذا الصندوق من دون أن يصرعك التيار الكهربي.. والأسلاك الأسود إلى الأرض مبتلة تمامًا.. هناك بركة ماء تحت اللوحة وهو يلبس شبشبًا في قدميه.. إلخ..

إنه يسعل.. صدره يعلو ويهبط.. هلم أيها الصعيدي خفيف الدم.. سوف تفعلها..

«هلم يا (سليمان).. الصعايدة جدعان.. وأنا لم أر منك أية جدعنة حتى اللحظة.. هلم.. اسعل!.. ابصق!.. تنفس!»

كنت أقولها له وأنا أوجه له المزيد من الضربات على صدره..

إنه يعود.. سيعيش...

في هذه اللحظة شعرت بمن يقف بجواري، وشممت عطرًا سكرًا.. رفعت رأسي لأجد الزوجين في كامل أناقتهما وقد تأبطت الزوجة ذراع زوجها.. كانا يضحكان بصوت عال..

قال الزوج:

«لعله بخير..»

وقالت الزوجة:

«نحن راحلان غدًا.. أرجو أن تعد لنا الحساب..»

قلت بصوت لاهث:

«وماذا عن التلفزيون الذي يعرض مشاهد من الواقع؟»

تبادلا النظرات ثم قال الزوج في بساطة:

«تلفزيون؟.. لا يوجد تلفزيون في غرفتنا!.. أنت تعرف هذا!»

وابتعدا في الردهة وهما يضحكان. فارتميت على الأرض والصقت ظهري بالجدار بجوار سليمان الذي بدأ يسعل ويسترد أنفاسه..

دعابة أخرى ثقيلة من الغرفة ٢٠٧ كانت تكلف سليمان حياته.. لقد حاول قطع الكهرباء في الظلام وهو يقف في بركة ماء، فقط ليدس يده في وكر ثعابين.. كل هذه القصة عن التلفزيون الذي يفضح كلاً منهما مجرد أكذوبة متقنة.. أعرف يقينًا انني لن أجد في غرفتهما جهاز تلفزيون.. وأنني عندما ابحث عن اسميهما في الدفتر لن أجدهما..

أعرف هذا يقينًا لأنني أعرف الغرفة ٢٠٧ جيدًا..

أعدها لي

يا فتاح يا عليم يا رزاق كريم..

مكالمة على الصبح من الخواجة الطلياني (مايكل) مدير الفندق شخصيًا.. معنى هذا انه يريد أن يلتهم أحدنا على الإفطار.. أعرف هذه المكالمات الصباحية وأعرف انها تنتهي بالخصم أو الطرد أو ما هو أسوأ..

يريدني.. ليس ليقدم لي علاوة أو يزوجني ابنته طبعًا..

هكذا تركت الكاونتر واتجهت إلى مكتبه عارفًا أن مصيبة تنتظرني.. تتحرك في أعماقي كل عقد كراهية الاجانب وتوقع الشر منهم.. أجداد هذا المدير كانوا يذبحون المصريين عندما رست سفنهم على ساحل الإسكندرية.. ولابد أن جده كان يمشي متغطرسًا بالدروع الحديدية البراقة تحت لواء (وكتافيوس).. ربما مشى في موضع هذا الفندق يومًا ما، ولم يعرف أن حفيده سيكون المدير وأنني سأكون موظف الاستقبال.. لابد أنهم كانوا يتعاملون بغطرسة وتوحش مع الفلاح المصري القادم من البحيرة الذي كان جدي طبعًا.. ربما القوه للأسود كذلك..

يجب أن ننتقم.. يجب أن يدفع هؤلاء ثمن سيطرتهم على البحر المتوسط.. لابد من (عمرو بن العاص) جديد يخرب بيوتهم ويحرق حصونهم و......

«تعال هنا يا حبيبي»

هنا فقط كففت عن الكفاح المسلح ومشيت لأقف أمام مكتبه مطرقًا..

الرأس العملاق بلا جسد الذي يخرج من المكتب ولا يكف عن اللوم.. هذا هو الخواجة (مايكل)..

قال لي وهو يقلب أوراقه:

«الغرفة ٢٠٧.. هل تعرفها؟»

يسألني أنا عن الغرفة ٢٠٧؟.. وعلى الصبح؟.. هذا يوم نحس لا أول له ولا آخر.. سوف يدفنني فيها بالتأكيد.. والأهم أنه نسي أنني أول من كلمه

دسسته في جيبي ونهضت.. ألقيت نظرة على هذه العظام الرهيبة الملقاة على الأرض.. ثم غادرت المكان مسرعًا.. ولسبب ما أغلقت الباب بإحكام من خلفي..

في حجرتي أعددت لنفسي كوبًا من الشاي ثم جلست على الأرض وفتحت الكيس..

كان يحتوي كيسًا آخر.. وداخل الكيس الثاني كانت رسالة على ورق مهترىء مصفر، بخط متعرج شنيع.. لكنه واضح..

كانت تقول:

«لقد تمكنت من أن أسجنه في الجدار.. قمنا بحجبه وراء طبقة كثيفة من الملاط. لكنه ليس ميتًا.. أؤكد أنه ليس ميتًا.. عندما تجد هذه الرسالة فعليك أن تصدق ما فيها.. لا تحاول أن تحرره من الجدار.. لو أخرجت عظامه لاستعاد نشاطه كاملاً.. سوف يتحرر وسوف يخرج إلى العالم.

كتبها صاحبها في مايو ١٩٢٤»

سقطت الرسالة من يدي..

معنى هذا أن ما كان في الجدار ليس جثة تحنطت هنا بل هو سجين.. سجين يود صاحب الرسالة ألا يتحرر..

وأنا حررته!

ثمة شيء ما كان يجوب الفندق عام ١٩٢٤ وقد تمكن أحدهم من أن يستدرجه للغرفة ويحبسه في هذا الجدار..

لقد وضع صاحب الرسالة رسالته في موضع بارز بحيث يجدها من ينقب الجدار أولاً. لكننا لم نفعل.. بدأنا بالتنقيب ثم قرأنا.. كان هذا خطأ فادحًا.. كان خـ....

هنا دوت الطرقات على الباب..

لم تكن طرقات واحد من رفاقي.. لأنه لا يوجد منهم الكثير الليلة.. ولا طرقات عابر سبيل.. هي طرقات عملاق يوشك على اقتلاع الباب من مفصلاته.. طرقات من يعرف أن له الحق في الدخول مهما كان رأيك أنت.

صحت بصوت مبحوح:

«من هذا؟»

هنا جاء الصوت المألوف:

«أعدها لي!»

هكذا اندسست تحت الأغطية أرتجف وأنظر إلى الباب.. لم يعد هناك شك في شخصية الواقف على الجانب الآخر.. لا أعرف من هو لكني أعرف ما هو..

الطرقات تتوالى في قوة.. المزلاج يوشك على أن يتحطم..

هنا حانت مني نظرة إلى البساط جوار الفراش.. تلك الجريدة الملفوفة حول شيء ما.. لقد نسيت.. كنت أنوي أن أتخلص منها غدًا لكني أعرف الآن ما على عمله..

حملت الجريدة.. وقفت خلف الباب وأخذت نفسًا عميقًا.. ماذا لو كنت مخطئًا؟.. ماذا لو كنت حمارًا؟

عندها لن أعرف ذلك على الأرجح..

بسرعة البرق بين طرقة وأخرى أزحت المزلاج.. فتحت الباب وأنا وراءه وطوحت بالجريدة في الردهة.. ثم أغلقت الباب وأرجعت المزلاج..

كان قلبي يدق كالطبل الآن.. سقطت على ركبتي لأن ساقي لم تعد تتحمل..

انتظرت أن ترجع الطرقات لكنها توقفت.. توقفت فعلاً...

ولم أنم في تلك الليلة..

عندما جاء العمال في الصباح الباكر كانوا مندهشين لأن باب الغرفة ٢٠٧ منتزع من مكانه.. منتزع بقوة لا يعرفون مصدرها..

قال لي الكهربائي:

«نحن تركنا الباب مفتوحًا فهل أغلقه أحد؟»

«لا أدري»

ولاحظت بلا دهشة كبيرة أن العظام التي أخرجتها لم يعد لها وجود.. لا يوجد شيء على الأرض كأنني لم أكن هنا أمس..

أصدرت تعليماتي لهم بأن يسدوا الفجوة إياها بالمونة بأسرع وقت ممكن.. لا نريد

خراطيم ولا أسلاكًا هنا.. كانوا مندهشين لكنهم قاموا بما طلبته.. لا أعرف هل حبست هذا الشيء بالداخل أم حبسته بالخارج لكني لن أجازف ثانية..

واصلوا الدق ثم سمعت أحد الفتية العاملين مع السباك يصيح:

«هناك قطعة عظم في الحمام تحت طبقة السيراميك»

جريت إلى هناك وأمرته بأن يعيدها إلى الجدار.. من فضلك لا تخرج أي شيء من مكانه..

قال الكهربائي وهو يشعل لفافة تبغ جذبها من خلف أذنه:

«أشياء غريبة في هذه المهنة.. أشياء غريبة بحق.. ذات مرة هدمت جدارًا فوجدت ثعبانًا حيًا.. لكننا لا نبالي بهذه الأمور يا أستاذ.. نحن صنايعية نشقى من أجل لقمة العيش..»

ثم حك رأسه وسألني:

«لكن.. لماذا تهتمون بالتجديدات في هذه الغرفة بالذات؟.. لماذا الغرفة ٢٠٧ دون سواها ؟؟؟»

النمط رقم (٤)

الحياة لا تدللنا ولا تقف بانتظار أوامرنا وأوهي رغباتنا.. هذا يحدث في المطاعم الفاخرة، حيث يتم معاملتك كزبون، بينما الحياة لا تعتبرك زبونًا يجب إرضاؤه في كل الأوقات.. إن لم يرق لك المطعم يمكنك أن ترحل وسوف يأتي غيرك فورًا.. و(ما نعطلكش باه)..

في الأيام الأخيرة كثرت المضايقات، ولن أصدع رأسك بها، لكن تدهور علاقتي مع يوليوس قيصر صار أمرًا واضحًا مزعجًا للجميع، وقد قال لي الناصحون أكثر من مرة:

«(يوليوس قيصر) ليس خصمًا هينًا.. لا تحاول أن تتورط في كراهيته»

لكنني كنت فاقد الإرادة كما تعلمون، والسبب هو عشقي للجمال..

ولكن دعني أقص عليك القصة من بدايتها والتي جمعتني وبين هذا الطاغية الإيطالي..

كنت أمارس العمل الوحيد الذي أعرف كيف أقوم به: الفندقة.. لربما كنت أداري تحت جلدي جراح أعصاب عظيمًا أو عالمًا نوويًا لكني لن أعرف هذا أبدًا.. منذ عرفت أن البشر يعملون وأنا أقف على هذا الكاونتر أتسلى في وقت الفراغ بالقراءة ومراقبة الناس.. هل توجد طريقة أخرى للحياة؟.. لا أعرف..

كانت (سارة) الخبيثة مضيفة الفندق التي لا تكف عن ملاحظة الناس تقف مستندة إلى الكاونتر، تلوك اللادن كعادتها وتعطي استنتاجات ذكية غالبًا ما تصدق..

قالت لي:

«هل لاحظت شيئًا في الغرفة ٢٠٧؟.. النزيلين الجديدين؟»

من جديد أسمع الرقم الذي لم أعد أطيقه، والذي صار يسبب لي نوعًا من الفوبيا.. ماذا حدث هذه المرة؟

قالت (سارة) وهي تقرض أطراف أظفارها وتبصق ما تقرضه فوق مكتبي:

«النمط رقم ٤..»

«هذا مسل.. لكن ما هو النمط رقم ٤؟»

«الفتاة الشابة اللعوب المسيطرة على زوجها المسن.. برغم هذا هو رجل مهيب عظيم النفوذ قوي الشخصية وسط الرجال، لكنه العوبة في يدها..»

«هل عرفت هذا كله في لحظات؟»

«أنت تعرفني.. هل أخطأت مرة؟»

«لا.. لكنك لم تقولي لي رأيك في شخصي قط..»

«لن تغفر لي هذا الرأي لو قلته..!.. إن علاقات العمل يجب ألا تفسد بأشياء كهذه.. هناك آراء يجدر بالمرء أن يبتلعها..»

هززت رأسي باسمًا بينما كانت هي قد فرت كعادتها.. القاعدة الأولى في بروتوكول المواجهات: قل كلمتك المستفزة واهرب قبل أن تتلقى الرد.. القاعدة الثانية: لا تعد إلا عندما يكون الطرف الآخر قد نسي ما قلته..

كنا في وردية المساء والجو هادىء عامة.. صحيح أن هذا هو الصيف لكن هناك أيامًا أكثر هدوءًا من سواها..

هكذا فتحت جهاز التلفزيون الصغير ورحت أتابع فيلم السهرة.. بينما جلس مصطفى بقربي يحكي لي قصة لا أول لها ولا آخر عن ميراث حاول عمه الاستيلاء عليه، لكن المحامي تلاعب بشيء ما مما أدى إلى تأجيل جلسة شيء ما..

دق جرس الهاتف فرفعت السماعة.. النزيلة في غرفة ٢٠٧ تعاني مشكلة مع التكييف.. لماذا تطلبني مع إنني موظف الاستقبال؟.. لأن كل النزلاء يفعلون هذا.. كأنهم لا يقرءون رقم (خدمة الغرف) في الكتيب الأنيق الموضوع جوار الفراش..

أغلب الظن أنه لا مشكلة هناك.. الغرفة هادئة منذ فترة لا بأس بها والحمد لله.. حتى الأشباح تهمد وتحتاج إلى الراحة.. هذه نزيلة تعاني مشكلة مع التكييف فعلاً.. لا أكثر ولا أقل..

لكني على كل حال قررت أن أصعد إلى الغرفة لأرى المشكلة..

رائحة عطرية غريبة شممتها وأنا أدق الباب.. تذكرت ما قالته (سارة) عن الزوجة اللعوب المسيطرة على زوجها المسن.. رأيت هذه النزيلة مرات لكنها كانت دومًا تلبس نظارة سوداء وقبعة، ولم أتبين ملامحها بدقة.. لابد أن تكون فاتنة بحق إذا كانت (سارة) تفهم شيئًا..

دخلت الغرفة وسط العبيد السود العمالقة عراة الصدور الذين يقفون على ناحيتي الباب.. عيونهم واسعة بيضاء لامعة وسط الأبنوس الأسود، مما يوحي بقطع الرقاب في أية لحظة..

تعثرت في طاووس يمشي بلا مبالاة.. ثم رفعت رأسي فوجدت عازفة سمراء تلبس ثوبًا شفافًا وتقف جوار (هارب) كبير.. كانت تنظر لي في فضول لكن أناملها لا تتوقف عن العزف..

هناك نمر عملاق مربوط بسلسلة في عنقه يجثم تحت العرش ويتثاءب.. هذا إذن هو مصير من لا يصلحون جهاز التكييف جيدًا..

كانت جالسة على العرش فعلاً وقد بدا عليها الملل.. ربما يمكنك أن تكتب سطرًا أو سطرين عن الجمال.. قد تؤلف لحنًا.. قد تكتب قصيدة أو ترسم لوحة، لكنك في النهاية مجرد طفل يمسك بكوب بلاستيكي يحاول أن يسكب به المحيط فوق الرمال.. هذا ليس جمالاً.. إنه شيء لا يمكن وصفه أو التعبير عنه أو التفكير فيه..

جالسة ممسكة بمروحة من ريش النعام، وتحركها في عصبية جديرة بالملكات، برغم هذا هناك جاريتان تمسكان بمروحتين عملاقتين جوارها..

قالت لي بصوت رقيق لا يخلو من الحزم:

«أنا كليوباترا ملكة مصر.. اقترب أيها العبد»

أنا عبد.. لا أطيق هذه الكلمة لكن جمالها وهيبة الموقف أخرساني فدنوت منها..

«جهاز التكييف لا يعمل كما يجب.. إن أعصاب نموري متوترة.. دعك من أن يوليوس قيصر لم يستطع البقاء هنا..»

«لو سمحت لي مولاتي»

واتجهت إلى لوحة التحكم في الجهاز.. كما توقعت.. هم رفعوا معدل التكييف إلى أقصى حد، لكن أحمق ما جعل الجهاز يعمل للتدفئة.. هكذا حركت المفتاح وخلال ثوان بدأ الهواء البارد يملأ الغرفة..

شاعت ابتسامة رضا على وجهها وهي تحرك المروحة المصنوعة من ريش النعام أمامه:

«جميل.. جميل..»

وملأت رئتيها بالهواء البارد وسألتني:

«ما اسمك أيها العبد الوسيم؟»

«جمال يا مولاتي.. جمال الصواف..»

«هذا اسم غير معتاد.. هل تتاجر في أصواف الأغنام مع الشماليين أم تتاجر في الصبغات الحمراء مثل أهل فينيقيا؟..»

«لا يا مولاتي.. هو مجرد اسم..»

دعتني للجلوس على الأرض بجوار العرش، وكنت أشعر بارتباك بسبب هذا النمر الوغد الجالس على الأرض تحت العرش.. بالفعل مد مخلبه وراح يعبث في طرف حذائي.. تظاهرت بالشجاعة لكني كنت على وشك الصراخ..

جارية سمراء جاءت بوعاء من ذهب وصبت لي كأسًا له رائحة ومذاق رحيق الأزهار.. شربت.. بينما سألتني كليوباترا:

«هل أنت مشغول؟.. لماذا لا تبقى معي قليلاً؟»

«لا مشكلة..»

تلا هذا أروع حفل ساهر يمكن وصفه.. لقد دخلت مجموعة من الراقصات الرشيقات ورحن يؤدين فقرات بهلوانية لا يمكن أن تصفها ما لم ترها.. ثم ظهر سحرة من بلاد الشمال يأكلون النار.. والأفارقة يصارعون التماسيح.. وكل هذا في الغرفة التي لا أعرف كيف اتسعت لهذا كله..

قالت لهم كليوباترا بلهجة الملكة الملول:

«والآن ارحلوا!»

هكذا تفرق الجمع.. هناك من اتجه إلى الباب ومن قصد الشرفة ومن دخل الحمام.. لم يبق سواي وسواها والنمر..

ساد صمت ثقيل.. أنت تعرف كيف يشعر المرء مع الملكات.. الملكات اللاتي تخطى جمالهن حدود المعقول أو المنطقي.. من الأحمق الذي قال إن كليوباترا لم تكن جميلة؟..

قالت لي:

«لا توجد تسلية هنا.. كل هذا ممل ومعتاد ولا أرى سواه.. أحيانًا أذهب للاستحمام عند تلك الصخرة..»

«حمام كليوباترا!.. أعرفها..»

«لكني في النهاية حبيسة هنا.. مع عجوز غيور متشكك..»

فجأة سمعنا قرعات قوية على الباب.. فهتفت في ذعر:

«لقد عاد قيصر!.. لن يعتبر وجودك هنا بريئًا!»

●●●●●

ودخل (يوليوس قيصر) العظيم إلى الغرفة..

كان مسنًا بحق، لكنه مهيب بشكل لا يصدق، ووجهه مليء بالتجاعيد بينما ينسدل شعره الشائب على جبينه لأنه يضع خوذته تحت إبطه.. دروعه تتألق في ضوء المشاعل وهو ينظر لي نظرة نارية، بينما يقف وراءه قواد رومانيون يبدون مثله..

قالت كليوباترا بلهجة دلال:

«تعال يا قيصر العظيم واجلس معنا.. هذا الشاب المصري الوسيم أصلح جهاز التكييف..»

لم يبد سعيداً بهذا ونظر لي ولها ثم قال:

«ليس من المعتاد لدى الملكات أن يتبسطن مع العامة»

«أنا لم أتبسط معه.. كنت أوجه له الشكر..»

نظر لي طويلاً ثم قال:

«أنت أنهيت مهمتك.. يمكنك الانصراف»

بالطبع لم يكن لي مكان أصلاً.. دعك من هيبة الرجل وتأثيره الكاسح.. الرجل الذي يسيطر على روما قادر على أن يخرجني من الغرفة بالتأكيد..

هكذا نهضت وهززت رأسي وابتعدت..

هل تخيلت هذا أم إني سمعتها بالفعل تتكلم معه في حدة قائلة:

«أنت لن تتحكم في للأبد!»

عندما انغلق الباب؟.. لا أجسر على الاعتقاد أن الملكة كليوباترا تتشاجر من أجلي..

هكذا عدت إلى الكاونتر حيث (مصطفى) يتابع التلفزيون وقررت أن أنسى هذه الحادثة الصغيرة..

بعد ساعتين اتصلت بي الملكة كليوباترا تطلب مني أن أصعد إلى الغرفة ٢٠٧..

نظرت إلى مصطفى فوجدته غافيًا.. اللوبي هادىء فيما عدا ثلاثة أو أربعة يتكلمون همسًا.. كان الإغراء شديدًا لكن....

«وماذا عن يوليوس قيصر؟»

«لقد انصرف.. إنه مشغول كما تعلم.. كل الغزاة كذلك»

متى انصرف وأنا لم أره؟.. على كل حال طلبت من شعبان عامل النظافة أن يعنى بالاستقبال بينما صعدت إلى الغرفة..

فتحت لي الباب جارية ذات طابع قوقازي.. كانت الملكة جالسة على عرشها وإن بدلت ثيابها.. بالطبع.. لا يمكن أن تظل الملكة بذات الثياب أكثر من ساعة.. دعك من طبيعتها النارية المتقلبة التي تخرج عصبيتها عن طريق كثرة تغيير المظهر..

عندما جلست قالت لي:

«لقد رحل.. الحقيقة أنه لم يكن مخطئًا جدًا في غيرته.. هؤلاء الغزاة أذكياء وحساسون.. أنت تفهم بالطبع أن سبب تفضيلي له هو أنها الطريقة الوحيدة التي أعرفها للدفاع عن مصر.. عندما صار هذا الرجل لي صارت مصر كلها لي..

الهزيمة بالحب.. أسلوب غريب للحرب لكن اقتران الحب بالحرب أمر عتيق في الوجدان البشري على كل حال...

قالت وهي تنظر لي بعينين قادرتين على إذابة الصخر:

«من حين لآخر أحب أن أنسى السياسة وأفكر في نفسي.. أختار من أريد لا من تريده ظروف الكر والفر.. أنت تفهم كلامي طبعًا؟»

«بصراحة.. لا..»

«وهذا عنصر جاذبيتك!.. هذه اللمسة من السذاجة تعطيك سحرًا لا شك فيه..»

ثم نظرت نظرة نارية إلى الجالسين حولها:

«أريد أن أكون وحدي»

في ثوان خلت الغرفة ممن فيها.. ونظر لي النمر نظرة طويلة مهادنة كأنه يقول: أنت صرت السيد.. لا أستطيع أن أؤذيك..

هذه كانت ليلة طويلة من ليالي الحلم.. حكت لي كليوباترا فيها كل شيء.. شربت الكثير من ذلك الرحيق في كؤوس الذهب.. غنت لنا الجواري من وراء ستار..

وعندما عدت إلى الاستقبال كنت أشعر كمن دخن طنًا من الحشيش أو شرب نهرًا من الخمر.. رأسي لا وزن له وأنا أحلق.. أحلق..

في الصباح الباكر جاءت (سارة) لتقف أمامي وتنظر لي في ثبات.. ثم قالت:

«اسمع.. لا أحب التدخل في أمورك.. لكن هناك أطرافًا من الكلام تتناثر هنا وهناك.. يوليوس قيصر ليس بالخصم الهين ولو عرف بما يحدث لنسفك نسفًا..»

«ما هذا الذي يحدث؟»

قالت ما معناه (استعبط يا خويا.. استعبط).. ثم قالت بتلك الطريقة التقريرية الباردة التي تجيدها الفتيات:

«هذا من شأنك.. لكن يوليوس قيصر يستطيع أن يؤذيك.. لا تنس النمط رقم ٤»

«ليس هذا عصر القوة بل هو عصر القانون»

«من دون قوة.. لا تنس أنه إيطالي مثل الخواجة مايكل مدير الفندق.. وسوف تكون كلمته ضد كلمتك فمن يصدقه (مايكل)؟»

كلام معقول فعلاً.. لكنني كنت غارقًا في بحر الغرام لا أعي ما يحدث من حولي.. فقط لينته هذا اليوم بسرعة لأعود إلى الغرفة ٢٠٧ حيث كليوباترا..

عندما جاء المساء طلبت من مصطفى أن يعنى بالاستقبال، ثم اتجهت إلى الغرفة ٢٠٧.. بعد ليلة البارحة لم يعد من الضروري أن آتي مدعوًا.. بوسعي أن أدعو نفسي..

لكنني بالفعل اخترت وقتًا غير مناسب..

لقد دققت الباب فانفتح.. هنا رأيت أن المكان أقرب إلى حفل صاخب..

عند العرش كانت كليوباترا تقف وتشوح بيدها في عصبية، بينما تقف أمامها امرأة بارعة الحسن ناضجة قوية الشخصية.. لكنها تلبس بالضبط مثل.. مثل نساء العصر الفاطمي كما نراهن في تصميمات شادي عبد السلام يرحمه الله!

كليوباترا تصيح:

«هذا عرشي يا (شجرة الدر).. كفي عن هذا السخف..»

شجرة الدر بدورها تصيح:

«وأنا أقول إنه عرشي ولن أتركه لغانية يونانية لعوب..»

«أنا مصرية يا حبيبتي.. ولن استخدم لغتك في الكلام عن الزوجة المحترمة التي قتلت زوجها بالقباقيب..»

كانت مباراة حقيقية في الردح حتى إنني وقفت عاجزًا عن الكلام، فقط لأسمع محاورة غريبة بعض الشيء تأتي من خلفي..

نظرت إلى الوراء لأجد يوليوس قيصر يقف مع جنرال نازي وجنرال بريطاني.. كانوا يثرثرون وهم يمسكون بكؤوس الشراب.. يقول النازي:

«كنتم معشر الإيطاليين سادة القتال، لكننا لا نعرف ما حل بكم.. لقد خيبتم أمل الفوهرر في الحرب..»

يقول قيصر:

«لست مسؤولاً عن الحمقى وليس بينهم من يدافع عن نفسه هنا بأمان مثل روميل.. لكن لا تنس أن البريطانيين كلفوك هزيمة ماحقة على هذه الأرض بالذات..»

يقول النازي الذي عرفت ان اسمه روميل:

«مشكلة الوقود.. في عصركم كانت الحروب مريحة لا تقتضي إلا بعض الحساء واللحم للجندي، أما حروبنا فتعتمد على إمداد لا ينقطع من البترول.. كلما تقدمنا للأمام طالت خطوط إمدادنا وسهل قطعها.. أليس كذلك يا مونتي؟»

قال البريطاني:

«بلى.. لقد فهمت ذلك مبكرًا ولعبت عليه في العلمين..»

وارتفعت الأنخاب.. هنا التفت روميل نحوي وهتف:

«من هذا؟»

نظر لي قيصر واحمر وجهه وقال:

«هذا مصري يعمل في الفندق، وهو مصر على أن يلقى حتفه هذه الليلة بالذات..»

فجأة انقطع خيط المحادثة الخطرة إذ تعالت صيحات الحماس.. صفير.. تهليل..

وسمعت من يقول:

«(سالومي) سوف ترقص!»

نظر الجميع إلى حيث جاء الصوت، فرأينا فتاة حسناء نحيلة تبرز للعيون وهي ترتدي ثوبًا غريبًا مكونًا من سبع قطع كل منها في مساحة منديل.. الطريف أنها تبدل أماكن القطع بلا توقف!.. ووقفت تتمايل أمام القوم ثم بدأت تدور في القاعة.. هناك صينية صغيرة مغطاة بمنشفة وضعت في مركز رقصها وقد راحت تدور حولها بلا انقطاع..

وبحركة رشيقة مدت يدها تنزع الغطاء.. هنا رأيت الرأس المقطوعة النازفة تستقر في الصينية.. رأس (يوحنا المعمدان).. هذا هو الثمن الذي دفعه لها (هيرود انتيباس) مقابل أن ترقص عارية..

أشحت برأسي في اشمئزاز ورعب واتجهت إلى الباب..

هنا سمعت كليوباترا تناديني..

قالت لي في شيء من الرفق:

«معذرة.. أنت لم تخبرني بقدومك لهنا لم يكن الوقت مناسبًا.. سوف يصل هانيبال بعد قليل ويتحول المكان إلى جحيم مع كل هؤلاء القرطاجيين وأفيالهم.. أقترح أن ترحل على أن أتصل بك عندما تهدأ الأمور..»

هكذا هززت رأسي وغادرت الغرفة شاعرًا بالحرج..

على الباب سمعت الصيحة الرومانية الشهيرة:

«جئت ورأيت وانتصرت..»

يبدو أنها تنطبق على حالي إلى حد ما..

●●●●●

في الصباح انتهيت من ورديتي وتأهبت للنوم فترة الصباح كعادتي..

قابلت مصطفى عامل المصعد وهو يشرب قدحًا ثقيلاً من القهوة ويتحسس رأسه..

عندما رآني نظر لي بعينين حمراوين وقال:

«بيني وبينك.. لن أدخن هذا النوع مرة أخرى».

نظرت له في عدم فهم فقال:

«هذا الحشيش.. يسبب الصداع ويسبب هلوسة غير طبيعية.. أنت رأيت الشيء ذاته.. أليس كذلك؟»

ثم أضاف في حكمة:

«الحشيش الجيد يجعل مزاجك يصفو وإحساسك بالدعابة أعلى لكنك لا تخرف أبداً.. هؤلاء التجار غشاشون..»

وفي خجل أشار إلى حجر سرواله فأصابني الرعب. كانت هناك دائرة من البلل هناك.. لقد بال على نفسه من دون أن يشعر..

هنا بدأت أتذكر.. أتذكر وأفهم..

السجائر الملونة بالزيت.. الأنفاس السريعة في حمام العاملين عند بداية الورديات.. مصطفى هو الذي أحضر هذا الشيء.. لقد جربناه ليلتين.. الليلتين اللتين زرت فيهما كليوباترا..

لقد فهمت كل شيء.. فهمت.....

هنا جاء من يخبرني أن الخواجة مايكل يريدني..

اتجهت إلى مكتبه وأنا أشعر بأن رأسي ثقيلة جداً.. لم لا يرجيء الكلام إلى ما بعد؟

قال لي الخواجة وهو يلتهم طعام الإفطار في مكتبه كعادته:

«اسمع.. أنا أثق بك واعتدت على أنك مهذب.. لكن هناك نزيلاً يشكو بشدة من مضايقتك لامرأته..»

«أنا؟»

«نعم.. نزيل الغرفة ٢٠٧ يقول إنك تضايق زوجته الشابة وتتظرف وتقرع الباب عندما لا يكون موجوداً..»

«هذا كلام فارغ.. إنني...»

فوجئت بيده مرفوعة في وجهي لأصمت وقال:

«نعم.. نعم.. أعرف.. ليس هذا الكلام متوقعاً منك.. تقول المضيفات هنا إنه يغار على امرأته الشابة بشدة ويشك في الجميع.. إنه مسن وهي شابة في ريعان الصبا.. هذا مركب معتاد جداً..»

«النمط رقم ٤».

قلتها همساً فسألني عما أقول. قلت بصوت خافت إنه لا شيء.. قال:

«سأجرب أن أثق بك.. سوف أفترض أنه مجنون.. لكن ليكن واضحاً إنني لن أنتظر شكوى أخرى منه.. ابتعد عنه ولا تشتبك معه في أي نوع من الخلاف أو الجدل. لو أنك نفخت دخان السيجارة في وجهه لقال إنك تتحرش بامرأته، وعندها سأصدقه.. هل فهمت؟»

كان هذا موقفاً كريماً نادراً لذا شكرته ووعدته..

قال وأنا أخرج من مكتبه:

«هؤلاء الغزاة.. لا يمكن فهمهم أبداً»

توقفت على الباب شاعراً بحيرة لا حد لها.

ما معنى هذا الكلام؟.. بالذات العبارة الأخيرة؟.. لقد عرفت كل شيء وعرفت من أين جاء قيصر وروميل وشجرة الدر ومونتجمري. جاءوا من أبخرة القنب الهندي فما دخل الغزاة بالموضوع؟

أعتقد أنني أخطأت السمع..

على أن ورديتي ليلاً بدأت بمفاجأة غريبة بعض الشيء..

لقد جاءت سارة الخبيثة لتقف مستندة على الكاونتر كعادتها وقالت لي:

«هيه؟.. ما أخبار العاشق؟.. هل أتاك قيصر للتماسيح بعد؟»

نظرت لها في رعب فبادرت إلى الفرار كعادتها وهي تضحك في خبث.

أكره اللعبة التي تغير قواعدها طيلة الوقت.. أنا لم أدخن أي شيء ولم يدخل جوفي شيء.. أفترض أن هذه القصة انتهت.. فلماذا يجددون ذات التعليقات والمزاح؟.. كنت في عالم الهلاوس وعدت منه فلماذا ظلوا هم فيه؟

هكذا غادرت الكاونتر واتجهت إلى الغرفة ٢٠٧ وقرعت الباب عدة مرات..

بالطبع لا أحد..

هكذا تأهبت للانصراف.. لكن الباب انفتح..

دخلت في حذر لأفاجأ بالجارية القوقازية تهش في وجهي!.. وسمعت زئير النمر وسمعت العزف على الهارب!..

كليوباترا جالسة على عرشها.. إنها حق لا شك فيه.. لم يكن للحشيش ذنب.. الأثر المخدر لا يمتد ثلاثة أيام..

إنها كليوباترا فعلاً.. ترحب بي فعلاً.. يقدمن لي الشراب فعلاً..

ثم تقول لي في مرح:

«قيصر ليس هنا.. أرجو ألا تكون تضايقت مما حدث أمس..»

نظرت لها في ذهول وهمست:

«هل تريدين قول إنني أرى ما أراه فعلاً؟»

«بالتأكيد.. من قال العكس؟.. لا تنس أنك في الغرفة ٢٠٧ حيث لا يوجد واقع ولا خيال... هناك شيء واحد.. سمه الواقيال.. سمه الخيالع.. المهم أنه موجود»

ثم مدت أناملها لتمسك بطرف ذقني كأنها ثمرة كمثرى وابتسمت..

هنا سمعت الباب ينفتح بقوة ومنه دخل يوليوس قيصر حاملاً خوذته..

«الآن أنا متأكد مما أعتقد...»

مد القواد الرومان أياديهم إلى السيوف.. لكنه أوقفهم بإشارة من يده وقال لي:

«هذه المرة الأمر بيني وبينك.. سيفك أيها المستشار (كلاوديوس)»

أخرج المستشار المذكور سيفه من الغمد وناوله للقائد، فناوله هذا لي وقال:

«مبارزة حتى الموت.. من أجل ملكة الملكات..»

«لكني لا أعرف كيف...»

«إما أن تموت كرجل أو تموت ككلب.. اختر»

هكذا حملت السيف الثقيل ووقفنا متباعدين.. ثم انقض علي بسيفه.

من الغريب أن الأمر لم يكن بهذه الصعوبة.. كنت أبارز كأني أعرف هذا طيلة حياتي..

هويت على عنقه لكنه تحاشاها بسيفه.. هوت ضربتي على عنق واحدة من الجواري البائسات فسقطت تنزف.. قال وهو يلوح بسيفه:

«بارع أنت في قتل النساء الضعيفات»

تحاشيت ضربته وأغمدت سيفي فانغرس في حشية من حواشي الغرفة.. ثم عدت أطعنه وأتقي طعناته.. صراع طويل مضن.. العرق يغمرني.. تمزق قميصي من طعناته لكنه لم يمس جسمي..

تراجع للخلف فداس على قدم النمر المتربص.. عوى هذا في ألم وأنشب مخالبه وأنيابه في ساق قيصر.. كانت هذه فرصتي كي أنتهز الفرصة وهويت بسيفي على منبت عنقه..

رباه!.. لقد كانت مجزرة!.. الدم الذي تناثر وغطى كل شيء..

وهتف المستشار (كلاوديوس) في رجاله:

«لقد قتل القيصر.. اقتلوه»

انقض علي القادة الرومان بسيوفهم وعرفت أنني ضائع.. هكذا رحت أضرب بسيفي يمينًا ويسارًا... أضرب في جنون.. أضرب كالعميان..

أضرب.. أضرب.. الأرض تذوب من تحت قدمي.. الظلام يزداد كثافة.. أنا أقرب إلى العمى..

أضرب.. أضرب..

وفي النهاية سقطت..

سقطت لكن يدًا كانت تحاول أن تعيدني لعالم الأحياء..

«انهض يا جمال.. بسم الله الرحمن الرحيم..»

فتحت عيني فوجدت مصطفى يركع على الأرض جواري.. إنها الحجرة ٢٠٧.. لكن أين ذهب الجميع؟

قال لي وهو يصب شيئًا بين شفتي:

«ما الذي دهاك؟.. أنظر لما حدث في الغرفة»

نظرت حولي فوجدت الفراش مبعثرًا.. الوسائد ممزقة ومتناثرة.. الكومود مقلوب.. الجدار تهشم في أكثر من موضع.. الأسلاك منزوعة من الجدار.. قميصي ممزق..

قلت في حيرة:

«أين؟.. أين الجميع؟»

«لا يوجد أحد.. أنت تعرف أن الغرفة خالية منذ أمس.. كان فيها رجل وزوجته وقد رحلا..»

أنا فعلت هذا كله؟.. كنت أقاتل الفراش والوسائد والأسلاك؟

لو كان هذا صحيحًا فلماذا كلمني الخواجة وما معنى الذي قالته سارة؟..

قل ما تشاء لكني أعرف أن كليوباترا وقيصر كانا هنا.. كان روميل هنا، ومونتجمري كان هنا.. ربما كان هانيبال هنا كذلك..

أعرف أنني قتلت يوليوس قيصر وقتلني قواده.. أعرف أن كليوباترا الحقيقي.. أعرف أنهما انتميا للنمط رقم ٤..

وقبل كل شيء أعرف أن الغرفة ٢٠٧ تراقب هذا كله وتكتم ضحكاتها الخبيثة..

اللقـــاء

العام ١٩٩٢.. اليوم الثاني عشر من يوليو..

في الثامنة مساء، جاء اللواء المتقاعد (مختار) وطلب غرفة.. كان طلبه المحدد أن تكون هي الغرفة ٢٠٧..

والآن دعني أقرب لك صورة الرجل الذي دخل الفندق في هذا الوقت.. كان فارع القامة رياضي الجسد.. أنت تعرف العسكريين على الفور من قاماتهم الرياضية.. هذا رجل لم يقض شبابه ساهرًا يدخن، دعك من نظرة الحزم الآمر في العين.. كان شعره مزيجًا من الصلع والشيب، وله شارب عسكري لا تخطئه العين.. يلبس قميصًا صيفيًا واسعًا يخرجه من سراويله، لكنك تستطيع أن تدرك كم أن صدره عريض يوشك على تمزيق الأزرار.. هناك عكاز يتوكأ عليه فلابد أنه شارك في حرب ما من حروبنا العديدة.. ٥٦ أو ٦٧ أو ٧٣.. سنه تسمح بأية حرب منها..

نظرت له في عمق وقلت:

«هناك غرف أفضل من هذه يا سيدي.. هناك أكثر من حجز تم إلغاؤه..»

قال بلهجته العسكرية القاطعة:

«الغرفة ٢٠٧ يا بني..»

هكذا لم أجد مناصًا من أن آخذ بياناته.. كان عسكريًا متقاعدًا بالفعل..

صعد إلى الغرفة فقلت لمصطفى عامل المصعد الذي جاء يقترض مني لفافة تبغ:

«هذه قصة جديدة على ما أظن..»

قال وهو يبلل اللفافة بطرف لسانه كعادته:

«لماذا لا ينسفون تلك الحجرة ويريحوننا؟..»

ليت هذا ممكن.. لكنه مستحيل بالطبع.. فقط لو كنت صاحب الفندق لقمت بسد بابها بعد ما أكون ملأتها بالخرسانة.. هكذا تنتفي هذه الغرفة للأبد..

رحت أعمل وأتلقى المكالمات وأدون في دفتري وأضحك تلك الضحكة المفتعلة، بينما جاءت مساعدتي الجديدة (ياسمنت) وهي فتاة شابة سوف ترحل سريعًا على كل حال.. إنها حسناء ومن الطراز سريع الزواج.. هذا النمط من الفتيات كدودة القز.. عملها مجرد فترة انتقالية سريعة قبل أن تنسج شرنقة الزواج حول نفسها وتصير ست بيت.. أعرف هذا النمط لأنني قابلته ألف مرة من قبل..

رأيتها واقفة تتكلم مع رجل أجنبي متقدم في العمر، وكانت تهز يدها في إلحاح مصرة على كلامها..

هناك مشكلة لذا دنوت منها لأسمع.. إنها عديمة الخبرة بطبيعة الحال..

كان الرجل بريطانيًا كما هو واضح من لهجته.. بالطبع نحن نجيد الإنجليزية أو على الأقل نفهمها، ونستطيع أن نوصل ما نريد بها على طريقة تجار خان الخليلي. لذا سألته عن المشكلة..

قال لي:

«هذه الآنسة تصر على أن الغرفة ٢٠٧ محجوزة.. هذا مستحيل..»

قلت له باسمًا:

«لا أرى ما يمنع من ذلك.. نحن فندق محترم يثق فيه النزلاء، وعلى كل حال قد تم حجز الغرفة منذ نصف ساعة.. عندي لك غرف أفضل بكثير و......»

قال في حزم:

«لكن هذه هي الغرفة التي أريدها..»

ما موضوع هذه الغرفة ؟.. لم هذا الحماس العنيف؟..

«ليست الغرفة ٢٠٧ أفضل غرفة تطل على البحر.. إن الغرفة ٢١٩ مثلاً........»

قال وهو يتحسس شاربه:

«الموضوع أنني أقمت فيها منذ أعوام وكانت ممتازة.. هل يوجد أمل في أن يتركها نزيلها عما قريب؟.. ربما يقبل تسوية ما»

«لا أعتقد.. قلت لك يا سيدي إنه حجزها منذ نصف ساعة.. لقد أفرغ حقائبه وبدل ثيابه.. من المستحيل أن تقنعه بغير هذا. دعك من أنه طلبها بالاسم»

استند على الكاونتر وأخرج غليونًا وراح يحشوه ساهم النظرات متضايقًا.. ثم قال لي وهو يطلق سحابة كثيفة من الدخان قوي الرائحة:

«لم لا تجرب أن تطلبه وتسأله؟»

«لا أعتقد.. إنه...»

«جرب من فضلك..»

هكذا رفعت السماعة شاعرًا بحرج شديد.. هذا موقف سخيف لكنه على الأقل يخلصني من إلحاح هذا المزعج..

«ألو.. هنا الاستقبال.. كنت أسألك يا سيدي عما إذا كانت الغرفة مريحة؟»

طبعًا كان الرقم الذي طلبته هو رقم المغسلة، وقد جاءني صوت (الششماوي) الغليظ يسألني:

«هل جننت يا جميل؟»

لم أبال وعدت أسأله:

«هل ترغب في تغييرها؟ بصراحة هنا نزيل يريد غرفتك وقد خطر لي أن عندنا ما هو أفضل..»

«لابد أن برجًا من عقلك طار.. غرفة إيه وزفت إيه؟»

«آه.. إذن هذا مستحيل.. آسف جدًا يا سيدي..»

ووضعت السماعة ونظرت باسمًا إلى النزيل الجديد.. كنت أتوقع أنه يفهم الكثير من العربية ويتظاهر بالعكس كعادة الأجانب في مصر، لذا عرفت أنه تابع المكالمة جيدًا..

بالفعل لم يسألني عن محتوى المكالمة.. فقط قال لي في استسلام:

«إذن اختر لي غرفة مناسبة وقريبة منها..»

وهي الغرفة ٢١٩ كما قلت لك. هكذا أنهيت الإجراءات وسرعان ما كان (مصطفى) يقوده إلى المصعد في احترام..

سألتني (ياسمنت) في غير اكتراث:

«ماذا في تلك الغرفة ٢٠٧؟.. هل هي رائعة كما فهمت؟»

«إنها الروعة مجسدة!.. قد تعيشين عمرك في عالم الفندقة ولا ترين ما يماثلها جمالاً..»

وانهمكت في بعض الأعمال.. سوف تنصرف هي بعد قليل وأظل ساهرًا وحدي أتسلى مع (مصطفى)..

هنا رأيت ذلك الرجل فارع القامة يتقدم.. كان أشيب الشعر، في ملامحه وقار غريب.. تقدم من الكاونتر وهز رأسه محييًا.. له عينان زرقاوان من الطراز الثلجي البارد الذي يجمد روحك إياه.. لو كان هذا ضابطًا فهو بارع جدًا في استجواب المتهمين.. لو كان طبيبًا فلا مرض يخفى عليه.. لو كان..

«أريد أن أحجز الغرفة ٢٠٧»

قالها بعربية مهشمة.. إنه أجنبي إذن كما هو واضح..

«آسف يا سيدي.. إنها محجوزة منذ ساعتين..»

«لا شيء غير قابل للتغيير.. الغرفة ٢٠٧ تناسبني أكثر من سواها.. ربما لو دفعت مبلغًا إضافيًا..»

«تدفعه لنا أم لنزيل الغرفة؟.. للأسف كلا الحلين غير مجد..»

«هل عندك غرفة أخرى تماثلها؟»

«ربما الغرفة.. الغرفة..وراجعت الأوراق..«الغرفة رقم ٢٠٢.. تجاورها تمامًا..»

هكذا أخرج أوراقه.. كان اسمه (كارل بايير).. ألماني.. يبدو أنه جاء إلى مصر منذ ثلاثة أيام حسب جواز سفره..

فرغت من الإجراءات وأنا غارق في الحيرة.. لم تكن الغرفة ٢٠٧ مغرية قط، ولم يذع عنها أنها تحوي كنزًا.. فقط هي تطل على البحر مثل عشرات الغرف في فندقنا.. فما سر هذا الحماس الغريب؟.. الإجابة طبعًا أنها الغرفة ٢٠٧.. هناك سر مخيف يفسر هذا الحماس..

كانت الليلة في بدايتها بالنسبة لي، وكان علي أن أنسى هذا الموضوع كي أواصل عملي خاصة بعد انصراف (باسنت)..

لكنني عندما ظهر النزيل الرابع الذي يطلب الغرفة ٢٠٧، بدأت أشعر بقلق جهنمي.. هذه الليلة لن تمر على خير.. أعرف هذا يقينًا وأؤمن به..

ما سر الجاذبية المفاجئة التي اكتسبتها هذه الغرفة؟

●●●●●

الضيف التالي كان غربيًا بدوره كما هو واضح.. كان له شارب كث بني اللون مضحك، وقد نظر لي في ثبات ثم تكلم بلكنة إنجليزية غريبة أراهن على أنها أسكتلندية لو كان ما أعرفه من السينما دقيقًا.. قال لي:

«الغرفة ٢٠٧ من فضلك..»

لقد صار الأمر مملاً.. هكذا مررت بالمراحل التقليدية من النكران والاعتذار والإغراء بغرفة أخرى، ثم مر هو بالقبول الحذر فالاستسلام.. هكذا صار مكانه هو الغرفة ٢١١..

اسمه (جيمس ماكيمروت).. لو لم تكن هذه الـ(ماك) تعني أنه اسكتلندي فأنا جاهل..

بعد ربع ساعة جاء الضيف التالي وهو ألماني قصير القامة مكتنز يدعى (دانييل ماير).. طبعًا يريد الغرفة ٢٠٧.. لم يعد هذا يثير دهشتي..

الغرفة غير موجودة يا سيدي.. لدينا الغرفة رقم.. رقم.. لقد صار الأمر صعبًا.. لم يعد لدينا سوى الغرفة ٢١٢ في الطابق الثالث.. أنا آسف..

قبل على مضض وصعد..

أخيرًا هدأت الأمور وكان النعاس يغلبني.. جلست خلف الكاونتر وأرحت رأسي على ذراعي.. أعتقد أنني رحت في سنة طويلة حلمت فيها بكل شيء تقريبًا..

دق جرس الهاتف فرفعت السماعة..

كان هذا هو نزيل غرفة في الطابق الثاني يقول لي مغضبًا:

«هناك مجموعة من الخواجات السكارى في هذا الطابق، وهم لا يكفون عن الغناء.. لابد أن تفعلوا شيئًا ما»

هكذا وضعت السماعة وطلبت رجل الأمن.. أعتقد أنه كان (سالم) في هذا الوقت.. (سالم) شاب من البدو له كل ملامحهم ببشرته السمراء وشاربه ولهجته.. قليلون هم البدو الذين يعملون في فندقنا على كل حال.. قلت له:

«هناك برج بابل في الطابق الثاني.. هل تعرف كيف تتفاهم معهم؟».

قال عبارة نجيب الريحاني الشهيرة:

«أكل العيش يعلمك كيف تتفاهم مع البراغيث»

وركب سالم المصعد إلى أعلى..

فيما بعد حكى لي أنه سمع هذه الضوضاء.. فعلاً غناء عال كأنه غناء سكارى خارجين من حانة.. بحث عن مصدر الضجة فخمن أنها قادمة من الغرفة ٢٠٧.. دق الباب مراراً حتى فتح رجل غاضب أشيب الشعر قال له إن الضوضاء ليست من هنا، وإنه سيشكوه للإدارة في الصباح..

«قال لي (جيت نا هل أوت أوف هير)».

«ماذا ؟.. كلمك بالإنجليزية؟».

«نعم.. إنه خواجة يا أخي.. خواجة قليل الأدب.. ماذا في ذلك؟».

هنا فتحت الدفتر وراجعت الأسماء.. الغرفة ٢٠٧ يقيم فيها ذلك الرجل العسكري المصري.. (مختار).. هل تبادلوا الأماكن إذن؟.. هل قتلهم

طلبت الغرفة عدة مرات فلم يرد أحد..

بعد ربع ساعة اتصل بي النزيل من جديد يشكو من مزيد من الضوضاء.. هكذا قررت أن أصعد بنفسي لأتحقق من الأمر..

ما إن وضعت قدمي على أرض الطابق الثاني حتى سمعت الضجة.. إنهم يتشاجرون في مكان ما.. مشيت أتنصت على الأبواب، فلم أسمع شيئاً إلا من ناحية الغرفة اللعينة ٢٠٧..

وقفت خلف الباب بضع ثوان.. انفتح باب غرفة مجاورة وظهر نزيل بادي الغضب يلبس فانلة داخلية وسروال منامة، وقد أدركت على الفور أنه ذلك الرجل العاجز عن النوم..

من الداخل أسمع كلمات حادة صاخبة.. هناك من يحتج.. من يصرخ. لكن الكلام بلغة غير مفهومة.. ربما الألمانية؟

قرعت الباب مرتين.. هنا انفتح في حذر وبرز الضابط المصري المتقاعد.. الرجل الصحيح في المكان الصحيح إذن..

قلت في تأدب:

«هناك ضوضاء من غرفتك يا سيدي.. هل أنت بخير؟».

نظر لي في صرامة وقال بطريقته العسكرية:

«لن أظل بخير يا بني إن ظل أحدكم يوقظني كلما حاولت النوم..».

«هل التلفزيون مفتوح؟».

«أنا لا أشاهد التلفزيون يا بني.. أبداً!».

وأغلق الباب.. تبادلت نظرة حيرى مع النزيل العاجز عن النوم ثم مشيت إلى الغرفة ٢٠٢ فقرعت بابها.. لا رد... مشيت نحو الغرفة ٢١١.. قرعت الباب.. لا رد... الغرفة ٢١٩..

الأمر واضح.. لا أحد من هؤلاء السادة في غرفته..

إنهم في الغرفة ٢٠٧ وصاحبها ينكر ذلك.. أنا متأكد..

قال لي النزيل:

«والعمل؟.. لم لا تطلبون الشرطة؟».

لم أرد.. فقط اتجهت إلى الشرفة التي تمر بكل الغرف.. قلت له:

«سأحاول عمل شيء لكن أرجو أن تدخل غرفتك وتنسى كل شيء، لأن ما سأقوم به قد يكلفني وظيفتي».

يعرف القارئ أن الشرفة طويلة تحتل جانب الفندق بالكامل.. أقرب إلى الممر الذي يصل بين الغرف كلها.. فقط هناك فاصل من الطوب بين نطاق كل غرفة وجارتها، فوقه شبكة خشبية ترتفع متراً عن الأرض.. هناك مدخل للشرفة في البهو.. تدخل فتجد ذلك الحاجز الوهمي عن يمينك وعن يسارك.. والبحر أمامك..

دخلت الشرفة.. رفعت قدمي لأتسلق ذلك الحاجز وهنا صرت داخل شرفة الغرفة ٢٠٧.. هذه طريقة أتبعها كثيراً ليس لأنني فضولي بصاص لا سمح الله، ولكن لأن مشاكل الغرفة كثيرة جداً..

كان باب الشرفة موارباً لكن بوسعي أن أرى ما بالداخل..

الإضاءة خافتة هادئة، لكني أرى رجلاً يقف في وسط الغرفة ويتكلم بحماس.. أعتقد أنه ذلك الألماني.. بينما يلتف حوله الآخرون جالسين على الأرض.. يبدو كأنه يمثل مشهدًا في مسرحية ما.. يتلوى.. يمسك بصدره.. يسقط على الأرض..

ثم ينهض ويواصل الكلام..

ما هذا؟.. هل هو نادٍ للتمثيل؟

ثم رأيت مشهدًا مروعًا.. إن أحد هؤلاء الرجال يتجه إلى الفراش حيث استقرت حقيبة مفتوحة.. أخرج أشياء معدنية وراح يثبتها معًا.. بعد لحظة وجدت في يده بندقية آلية!

إرهابيون أو سفاحون تسللوا للفندق ونجحوا بهذه الطريقة في إدخال أسلحة..!

هل يفكرون في سطو مسلح؟.. لم أسمع قط أن فندقنا يشتهر بالثراء لهذا الحد.. ربما سيتخذونه نقطة ارتكاز لعملية في الخارج، لكن ما هو الهدف الثمين بهذا الشكل في مرسى مطروح؟

رأيت أحد هؤلاء يجري وسط الغرفة ثم يرتمي أرضًا ويقذف بشيء.. لا أعرف ما هو لكن هناك من انبطح أرضًا ليتفاداه..

مجانين.. هذا هو التفسير الوحيد..

هناك خمسة رجال في هذه الغرفة من جنسيات مختلفة، وكل شيء يؤكد أنهم مخابيل.. فماذا علي أن أفعل؟

في هذه اللحظة رفعت عيني لأجد ذلك الألماني الأشيب ينظر لي عبر باب الشرفة الموارب.. !لقد رآني..

ارتفعت يده تشير لي وقد اتخذت سبابته شكل المسدس.. وبصوت مجنون حازم صاح:

«هالت!»

*****

وثبت فوق حاجز الشرفة في حذر..

لو لم أحترس لكنت قد سقطت من أعلى، وهذا لن يقتلني لكنه على الأرجح سيؤدي لكسر ساقي إلى شطرين..

سرعان ما كنت أخرج من الشرفة في ذات اللحظة التي انفتح فيها باب الغرفة ٢٠٧.. جريت إلى الدرج لأنه لا وقت لاستدعاء المصعد، ورحت أثب درجات السلم.. سمعت صوت خطوات من خلفي ومن يصيح، لكني قدرت أنهم غالبًا متقدمون في السن فلن يستطيعوا اللحاق بي..

جريت إلى الكاونتر فأيقظت مصطفى النائم كالعادة، ثم رفعت سماعة الهاتف وطلبت شرطة النجدة.. هناك مجرمون في الفندق وهم حسنو التسليح..

لكن لماذا لم يلحق بي أحد؟

في هذه اللحظة بدأت فوضى عارمة.. لقد دوى صوت طلقات من الطابق الثاني.. ثم صوت رشاش سريع.. بعدها صوت قنبلة تنفجر!

سرعان ما تحول الاستقبال واللوبي إلى مستشفى مجانين.. نزلاء من كل شكل ولون وجنس يقفون هناك بثياب النوم وهم مذعورون.. ماذا يحدث؟.. أطلبوا الشرطة!

لكنني أرد في حزم:

«إنهم في الطريق.. فقط أرجو أن تخرجوا من الفندق في هدوء وبلا تدافع.. كل شيء على ما يرام»

صاحت امرأة عصبية:

«أي شيء على ما يرام؟.. هذه طلقات بندقية آلية!»

الطلقات مستمرة.. هناك معركة حقيقية في الطابق الثاني.. ماذا يحدث بالضبط؟.. هل اختلفوا؟.. هل جنوا؟..

صرخات نساء.. أطفال.. رجال.. خروج غير منتظم إلى الشارع..

هنيئًا للإدارة بهذه الفوضى!.. سوف يسعدون حقًا حينما يعرفون بما حدث.. في العام ١٩٩٢ لم تكن موجة الإرهاب التي عرفتها مصر في منتصف التسعينات قد بدأت.. وإلا لحسبوا هؤلاء إرهابيين، لكن الوضع كان غريبًا وغير مسبوق.. لا أحد يملك أي تفسير..

سرينة عربات الشرطة.. رجال الشرطة يندفعون إلى الداخل وهم يحملون أسلحتهم.. ضابط شاب عصبي يصرخ في رجاله.. بما أن الوضع غير مسبوق فإن الارتباك هو سيد الموقف ولا توجد خطة على الإطلاق.. عسى ألا يسقط أبرياء كثيرون..

توارى الجنود في الطابق الثاني وساد صمت رهيب..

بعد دقائق رأيناهم ينزلون وقد بدا عليهم الهدوء.. كانوا يحملون أسلحة ملفوفة في أكياس..

قال لي الضابط العصبي وهو يمسك بكيس من البلاستيك لفه حول بندقية آلية:

«لا أحد في الطابق الثاني..»

صحت في ذهول:

«والغرفة ٢٠٧؟»

«الغرفة ٢٠٧ خالية وبابها مفتوح.. كذلك أكثر غرف الطابق.. أنت متأكد من أن أحدًا لم ينزل مع النزلاء المذعورين؟..»

«لقد كانت الطلقات مستمرة بينما النزلاء هنا..»

وضع البندقية على الكاونتر وراح يتفحصها في حذر.. مددت يدي فأوقفني على الفور وهتف:

«البصمات!»

ثم أعاد فحص البندقية وغمغم:

«هذه البندقية عتيقة جدًا.. لا أصدق أن طلقة واحدة يمكن أن تخرج منها.. هذه تشبه أسلحة الحرب العالمية الثانية..»

حرب عالمية ثانية؟

صعدت إلى الطابق الثاني حيث انتشر جنود الشرطة.. رائحة البارود تعبق الجو.. دخان متجمد فيه.. لكن لا يوجد أثر لأي شيء آخر.. لا ترى أثرًا واحدًا لطلقة على جدار أو خدشًا..

دخلت الغرفة ٢٠٧ التي كانت مفتوحة.. في الداخل كانت هناك فوضى كاملة.. هناك قنبلة يدوية على الفراش.. قنبلة لا يبدو أن بوسعها أن تنفجر أبدًا.. هناك جريدة مطوية لتظهر الربع السفلي الأيمن من صفحتها الأولى فقط..

دنوت من الجريدة فهتف بي جندي:

«لا تمس شيئًا يا أستاذ حتى تصل النيابة ورجال المعمل..»

رفعت يدي بمعنى أنني لن أفعل.. واقتربت من الجريدة لأقرأ المكتوب.. عنوان صغير يدل على أنه خبر تافه يقول: «اليوم ١ يوليو.. خمسون عامًا على حرب العلمين الأولى»..

حرب العلمين الأولى التي وقعت بين قوات المحور والحلفاء، وكاد النازيون وقتها يصلون إلى الإسكندرية لولا أن تم دحرهم.. هذه الحرب استغرقت الفترة من ١ إلى ٢٧ يوليو عام ١٩٤٢!

اليوم نحن قد صرنا في الثالث عشر من يوليو.. ذروة الحرب منذ خمسين عامًا..

بريطانيون.. ألمان.. ضابط مصري.. لماذا يصرون على اللقاء في الغرفة ٢٠٧؟.. من جاء أولاً ظفر بالغرفة، لكنهم برغم هذا احتشدوا فيها.. أسلحة عتيقة تعود للحرب العالمية الثانية. اختفوا فجأة.. فأين اختفوا؟

ثمة إجابة لكني لا أجرؤ على التفوه بها...

في اليوم التالي وبعد انتهاء هذا الضجيج قال لي (سالم) إن الأخبار تنتقل بسرعة هنا.. ابن عمه إذ استقل سيارته البيك أب، رأى في الصحراء خمسة رجال مسنين يمشون بصعوبة فوق الرمال.. في ضوء الفجر حيث تختلط الألوان ويختلط معنى النور بالظلام، كان المشهد غريبًا وغير معتاد.. قال إنه حاول أن يوصلهم إلى وجهتهم، ولاحظ أن بينهم مصريًا واحدًا بينما كان الباقون أجانب..

رفضوا أن يركبوا معه.. قال إنهم مشوا في الصحراء.. غالبًا كانوا متجهين نحو.. نحو المقابر..

لماذا لا أشعر بدهشة؟.. ولماذا لم يباغتني الخبر؟

جلست مع (سالم) وتكلمنا طويلاً وشربنا الكثير من أكواب الشاي.. حكيت له عن الجنود البريطانيين والألمان الذين لاقوا حتفهم في ليلة الثالث عشر من يوليو عام ١٩٤٢..

لابد أن ضابطًا مصريًا كان معهم.. إما أنه كان مع البريطانيين أو مع الألمان الذين يأمل في أن يهزموا البريطانيين.. لقد لاقوا حتفهم جميعًا في تلك الليلة لكن بعد ما أقسموا أن يلتقوا بعد خمسين عامًا ليتذكروا ليلة مصرعهم، وليكملوا المعركة.. بالطبع لو بحثوا في مصر كلها عن مكان خارج حدود الواقع.. مكان يقف بين عالمي الحياة والموت.. بين عالمي المادة والكوابيس، لما وجدوا أنسب من الغرفة ٢٠٧.. لكن للغرفة ٢٠٧ مزية أخرى مهمة هي إنها قريبة جدًا من مسرح المعركة..

معركة (علمين) رمزية دارت بين الحلفاء والمحور في الغرفة ٢٠٧.. طقوس حماسية.. أغان وطنية يقولها كل بلغته.. ثم يبدأ القتال...

لا أعرف من انتصر ولا من هزم.. فقط أعرف أن الليلة انتهت وأنهم عادوا من حيث جاءوا..

قال لي (سالم) إنني بدأت أخرف وإن السهر قد أحدث خللاً في عقلي.. قلت له إنني لا استبعد هذا الاحتمال..

فقط أخشى أن يكون هناك آخرون قد اقسموا ذلك القسم في ليال أخرى.. معنى هذا انني سأظل قلقًا حتى ينتهي اليوم السابع والعشرون من يوليو.. بعدها سوف أنسى هذه القصة وانتظر الكابوس الجديد الذي تهديه لي الغرفة رقم ٢٠٧.

تجربة ليلية

أنا (جمال الصواف)... الذي قضى عمره خلف الكاونتر في هذا الفندق... استطعت أن احتفظ بصحتي قدر الإمكان، فلا أعاني ارتفاع ضغط الدم ولا السكر، لكني إذ قبضت أناملي على أجهزتي الحيوية كي لا تضيع، أقلت عيني لتنزلق على الأرض.. هكذا لم اعد أبصر تقريبًا.. أنتم تعرفون هذا، وتعرفون تاريخ هذا الفندق، كما تعرفون حتمًا تاريخ الغرفة ٢٠٧.. لن أقول إنكم تعرفون سرها لأنه لا أحد يعرفه..

لا أزعم أن أحدًا لم يبال بهذه الغرفة سواي وعم (مينا) ومصطفى. في العام ١٩٦٦ ظهر الأستاذ (عبد الظاهر خليفة).. كان في الأربعين من عمره أقرب إلى البدانة، وله شعر أبيض بالكامل بلا خصلة شعر سوداء واحدة. انطباعي عن هؤلاء القوم الذين تخلو رؤوسهم من الشعر الأسود في سن [illegible] القسوة. كان يرتدي بذلة كاملة ويلبس نظارة سميكة ذات إطار أسود.. ربطة العنق الرفيعة... إلخ... باختصار كان نموذجًا لمثقف الستينيات أو الرجل المحترم في ذلك الوقت، عندما كان الموظف في قمة السلم الاجتماعي قبل أن ينقلب السلم فيصير الحرفي في أعلاه.

(عبد الظاهر) لم يكن موظفًا.. كان صحفيًا.. وقد سمع عن هذه الغرفة من أحد نزلائها السابقين.. يبدو أن خزانة الثياب كانت تنفتح ليلاً كلما أغلقها النزيل.. أنت تتوقع أن هذه صدفة مرة ومرتين.. لكنك في المرة الثالثة تجمع حاجياتك وتفر من الفندق..

(عبد الظاهر) قابل اثنين أو ثلاثة حكوا له عن مغامرات مماثلة في تلك الغرفة، وقد تحمس الرجل.. كان محررًا مهمًا في مجلة اسمها (العدسة)، وهي مجلة مليئة بأخبار من عينة (أسباب الطلاق بين الفنانة فتكات والمطرب سيد حليوه)، (اللاعب زكي فنطازية يعلن نية التقاعد قريبًا)، (كيف تتعاملين بالاتيكيت عندما يأتي لك ضيوف).. لو أضفنا لهذه العناوين عنوانًا يقول: (الغرفة ٢٠٧.. هل هي مسكونة؟). لو أضفنا هذا العنوان لما أحدث فارقًا كبيرًا.

هكذا جاء (عبد الظاهر) إلى فندقنا وطلب أن يحجز بضعة أيام على حساب المجلة طبعًا، ثم كان صريحًا منذ البداية.. لقد مال على الكاونتر وسألني عن الغرفة ٢٠٧:

«هل تعتقد أنها مسكونة فعلاً؟»

قلت ببرود وبلهجة شبيهة بإنسان آلي يتكلم:

«ما عفريت إلا بني آدم»

أشعل لفافة تبغ وقدم لي واحدة، ثم عاد يسأل:

«هل تحدث فيها أشياء كثيرة؟»

«لا يحدث شيء.. نزلاء يقيمون فيها ويرحلون»

«وخزانة الثياب التي تنفتح؟.. وشعور النزيل بأن هناك يدًا باردة تتحسسه في الظلام؟.. وصنبور الماء الذي ينفتح تلقائيًا؟.. والوجه الشاحب الذي يطل من الشرفة ليلاً؟»

«لا يحدث شيء.. نزلاء يقيمون فيها ويرحلون»

ونفثت الدخان في وجهه ليعرف أنني لا أعتبر لفافة التبغ تلك رشوة..

كان علي أن أخرس.. يكفي أن ينتزع مني أي شيء يضعه في مجلته.. سوف تظهر صورتي مع اسمي (جمال الصواف) والتعليق يقول: «هو ذا مستقبل الفندق يؤكد أن هناك ثلاثة من الجان يسيطرون على الغرفة». والنتيجة هي أن المجلة سوف تقع في يد الخواجة، وسوف يناديني ليفرغ في كل الغضب الذي اختزنه منذ أعوام. أنت غير أمين على السر.. أنت لا تحافظ على سمعة الفندق.. أنت أقسمت بأن تصمت، لكنك فقدت القدرة أمام إغراء الإعلام.. أنت مفصول!

هكذا سوف يعود الصحفي لمجلته سعيدًا، ويأخذ قرشين، بينما أنا أعود إلى دمنهور حيث لم تعد لي حياة أصلاً.. ربما أقول (لأجلس جوار أمي) لكن لم تعد لي أم ولا أب ولا زوجة.. لا.. من الأسهل أن أظل صامتًا وأبدو غبيًا.

قال لي (عبد الظاهر):

«أنت كتوم فعلاً..»

قلت له في برود:

«اسمع يا سيدي.. أنا لا أعطي إجابات.. هذا ليس عملي.. أنا أعطي النزلاء غرفًا شاغرة.. لو أردت أي شيء فعليك أن تقابل المدير..»

قال وهو يدفن لفافة التبغ في المطفأة:

«بالتأكيد سأفعل.. هل يمكنني أن آخذ هذه الغرفة إذن؟.. يقولون إن موقعها جميل وهواءها عليل»

هنا لا أستطيع أن أتدخل.. من حقه أن يأخذ أية غرفة شاغرة ما دام لن يوجه أسئلة.. هكذا أعطيته مفتاح الغرفة وتمنيت له إقامة سعيدة..

هكذا مضت الحياة هادئة، إلى أن جاء بعد يوم وكان معه ثلاثة من أصدقائه.. ثلاثة كلهم لهم ذات المظهر المميز.. فقط أحدهم كان يحمل كاميرا ذات فلاش.. صحفيون من دون شك..

قال لي:

«يجب أن نقابل المدير هذه المرة..»

هززت رأسي أن بوسعه أن يفعل.. توجه إلى مكتب المدير وغاب بعض الوقت، ثم جاء من يخبرني أن المدير يريدني..

ماذا حدث؟.. ذهبت إلى هناك متوجسًا فوجدت أربعة الرجال جالسين وأمام كل منهم فنجان قهوة، وكان الخواجة (مايكل) مرحًا على خلاف العادة..

قال لي:

«اسمع يا جمال.. أنت تعرف هذا الهراء الذي يقال عن تلك الغرفة.. قلت ما رقمها؟»

«رقم ٢٠٧ يا سيدي.. الطابق الثاني»

«نعم.. نعم.. هؤلاء السادة جاءوا للتحقيق في الأمر.. أريد أن تلبي لهم كل شيء يحتاجون له.. سوف يمضون الليلة في الغرفة..»

كدت أجن من الغيظ.. وماذا عن السرية وكل التكتم الذي طالبتنا به؟.. لو اقترحت أنا شيئًا مماثلاً لفجرت رأسي..

لم أستطع أن أظل صامتًا فسألته:

«سيدي.. ألن يضر هذا بسمعة الفندق؟.. شوشرة لا شك فيها.. عندنا في الريف يقولون: العيار اللي ما يصيبش يدوش..»

قال في بساطة:

«هذا كلام بلدكم.. لكن الحقيقة هي أن هذه الأشياء سوف تجلب لنا دعاية مجانية ممتازة.. الناس فضوليون يا جمال، ولا يمكن أن يقرأوا شيئًا كهذا من دون أن يجربوا..»

لم أكن أثق في هذه الافتراضات بالنسبة لمصر.. النفسية المصرية معقدة جدًا ولا يمكن التنبؤ بها، وما قد يجذب الناس في العالم كله قد ينفر المصريين، وما قد ينفر العالم قد يجذب المصريين.. هناك أطباء تنجح عياداتهم لأنهم فظون خشنون وقحون مع المرضى فهذا دليل على أنهم أساتذة كبار، وهناك أطباء تكسد عياداتهم لأنهم مهذبون مجاملون أكثر من اللازم.. حاول أن تتخذ هذه قاعدة ولسوف تفشل يومًا وينصرف المرضى عنك لأنك وقح خشن مع المرضى!.. متى ولماذا تغيرت وجهة النظر؟.. لا أحد يعرف.. مرحبًا بك في مصر يا صديقي..

أنت لن تفهم المصريين كما أفهمهم يا خواجة ومهما تظاهرت بأنك ابن بلد وبخنت الشيشة..

قال لي الخواجة:

«هؤلاء السادة سوف يجتمعون في الغرفة الليلة.. أريد أن تكون معهم في حالة ما أرادوا شيئًا»

هذا غريب.. هل عملي يقضي بأن أبيت مع النزلاء لألبي حاجتهم لو أرادوا كوب ماء أثناء الليل؟

لكن الخواجة واصل الكلام مفسرًا:

«معهم جهاز تسجيل وكاميرا.. ولسوف يجرون تجربة تحضير أرواح.. سوف يحاولون معرفة الحقيقة.. هل هناك شيء لا نعرفه فعلاً.. أم أن القصة كلها هلاوس؟»

*****

هكذا وجدت أنني متورط مع هؤلاء السادة بأوامر من المدير شخصيًا.. كنت أتوقع أن يطردهم شر طردة لكنهم كانوا مقنعين..

انتظرتهم خارج المكتب حتى لحقوا بي، وفي اللحظات التي صعدت معهم فيها إلى الغرفة اللعينة، عرفت من هم.. هناك (عبد الظاهر) وقد سبق لنا التعارف، وهناك اثنان يعملان بالمجلة أحدهما مصور طبعًا.. الرابع هو المهم لأنهم ينادونه (دكتور مدكور)، وهو يتكلم كأنه من ذوي الخبرة.

ملت على (عبد الظاهر) أسأله عن هذا الدكتور.. فقال لي همسًا:

«صه.. إنه خبير روحاني»

بمعنى آخر هو نصاب على الأرجح.. لكنه يبدو وقورًا أمينًا.. على كل حال لا يمكن أن تقتنع بنصاب إلا إذا لم يبد كنصاب..

هكذا دخل إلى الغرفة.. فتحت لهم الشرفة ليتطاير الستار داخلها مرفرفًا.. خرج (عبد الظاهر) إلى الخارج وراح يملأ صدره بهواء البحر الذي بلا شك بلل نظارته بالرذاذ..

في الوقت ذاته راح د. (مدكور) يجول هنا وهناك.. فتح الخزانة ونظر داخلها جيدًا ودق على خشبها عدة مرات.. أنا أعرف كل ركن في هذه الغرفة وأتمنى لو لم أفعل.. هنا بالذات عام ١٩٦٥ رأى ذلك النزيل وجه شيطان ينظر له في الظلام.. وهنا اشتعلت النار في هذا الستار بلا أي مصدر للهب، وفي الحمام انتحرت تلك الفتاة منذ أعوام.. المرآة التي ترى فيها ماضيك كله.. الفراش الذي يغوص بك تحت مستوى الأرض بمعدل سنتيمتر في الساعة لكنك تدرك هذا بعد فوات الأوان..

من هذه الشرفة دخل ذلك الجني الأزرق الذي كان يخنق الزوجين عام ١٩٦٢..

كل شيء هنا.. هذه الغرفة يمكن أن تزين أية مدينة ملاه في أي مكان بالعالم.. مع فارق مهم: كل شيء حقيقي ومريع.. لا يوجد كذب هنا..

كان د. (مدكور) يتفحص كل شيء، وتوقعت أن يغمغم في خطورة: «هناك نشاط خفي هنا.. أشعر به في كل ركن»

لكنه لم يفعل لحسن حظه.. لو فعل لقلت إنه يقلد كل فيلم أجنبي رأيته في حياتي..

فقط كان مهتمًا بحق، وقد قطب جبينه مفكرًا..

جلس وأخرج حقيبته وعكف أحد الرجال على إعداد جهاز التسجيل. أما الحقيبة نفسها فلم أتبين ما تحويه.. كانت هناك أسلاك على ما أعتقد.. وكان هناك مرطبان فارغ.. هذا هو ما استطعت رؤيته..

أخيرًا تكلم الرجل، وكان صوته جديرًا بخبير أرواح فعلاً... قال لـ (عبد الظاهر):

«تعال يا أستاذ (عبده) وأغلق الباب..»

قال هذا الأخير:

«ربما كنا بحاجة إلى هواء.. الجو خانق هنا..»

«ويعج بالاستاتيكية.. لا أريد لهذا التأثير أن ينقص. أغلق باب الشرفة»

انغلق الباب وإن ظل الشيش مفتوحًا.. كان الغروب قد جاء فاصطبغت السماء بلون أزرق كئيب يختلط بالأرجواني..

نهضت لأوقد التيار الكهربي، فقال لي آمرًا:

«لا.. لابد من ظلام..»

جلس رجلان على مقعدين وثيرين جوار الفراش.. كان هناك أنتريه مريح في ركن الغرفة لذا اتخذت مجلسي على أريكة فيه، بينما جلس (عبد الظاهر) على الفراش ذاته.. ومر الوقت ببطء شديد.. تدريجيًا تلون كل شيء بلون أزرق وبردت الموجودات..

«فلنبدأ!»

نبدأ ماذا؟.. على الأرجح هو يتكلم عن جلسة تحضير الأرواح المزعومة..

بدأ (مدكور) ترديد بعض العبارات التي لم أتبينها.. لا أستطيع أن أؤكد إن كانت آيات قرآنية أم لا.. ثم قال بصوت جهوري:

«أشعر بوجود هنا.. لو كنت محقًا فلتجبنا بنعم.. أعطنا علامة»

هنا على الفور انفتح باب خزانة الثياب محدثًا صريرًا، وشعرت بالشعر يتصلب على مؤخرة عنقي.. إذن هذا صحيح!.. هناك شيء ما.. أعرف أن الغرفة غير طبيعية، لكني لم أعرف يقينًا أنها مسكونة..

واضح أن هذه الجلسة ستكون مفيدة.. مفيدة ومفزعة..

«هل أنت ذكر؟»

سمعت الصرير من جديد.. أعتقد أن هذه ستكون علامة (نعم).. لكن الأمر كان مخيبًا للأمل برغم كل شيء.. توقعت شيئًا أكثر درامية..

ساد الصمت فلا تسمع سوى صوت الشريط يدور في الجهاز.. وصوت أنفاسنا..

هنا نهض أحد الرجلين، فحمل منديلاً عملاقًا وفرده ثم غطى به رأس الدكتور (مدكور).. كان التأثير مفزعًا كأنه شبح هو نفسه.. رجل بلا رأس يجلس على الفراش..

نهض (عبد الظاهر) ووقف جوار الدكتور وسأله بصوت مبحوح:

«هل أنت وحدك هنا؟»

هذه المرة جاء الصوت من خلف المنديل وبنبرات (مدكور) نفسه:

«نعم..»

لقد تغيرت السياسة إذن.. كنا نعتمد على طريقة الطرقات، ثم تطور الأمر إلى استعمال الوسيط.. إن الوسيط يستخدم هنا كجهاز ينقل لنا كلمات الروح، والمفترض أنه لا يعرف ما يقوله ولا ما يجري.. إنه في سِنة كاملة..

«لماذا احتللت هذه الغرفة؟.. ولماذا لا تتركها في سلام؟»

«لا أستطيع أن أجيب..»

هنا نظر (عبد الظاهر) في الظلام إلى المصور.. التمع ضوء الفلاش مرتين.. ودوى صوت (مدكور) من وراء المنديل:

«من فضلك.. لا صور.. لا صور..»

من جديد نظر (عبد الظاهر) إلى زميله الثاني فسارع هذا إلى فتح المرطبان، ووضعه بيد ترتجف على المنضدة..

قال (عبد الظاهر):

«أرجو أن تترك لنا عينة هنا..»

كان المشهد لا يصدق، وأنا أرى هالة خضراء شبه فوسفورية تنبعث من المنديل، تتجمع كسحابة لأعلى ثم تتجه إلى المرطبان كأنها إصبع عملاقة تشير.. وشعرت كأن المرطبان يتلقى سائلاً يصب فيه.. سائلاً له شكل غازي خارجه.. وبدأت قطرات من هذا الشيء تسيل على الشرشف الذي يغطي المنضدة.

«شكرًا.. شكرًا..»

فيما بعد عرفت أن هذا هو (الاكتوبلازم) الذي يزعم خبراء الأرواح أنها تتركه.. الجبلة الخارجية.. شكل هلامي يحاول اتخاذ شكل صاحب الروح.. محاولة لصب قالب يراه البشر.. آرثر كونان دويل مؤلف شيرلوك هولمز كان يحتفظ في مكتبه بعشرات القوالب من هذه..

لك أن تتخيل أنني كنت في أسوأ حال، وقد رحت أدعو الله أن تنتهي هذه التجربة بسرعة.. الظلام.. الصمت.. صوت (مدكور).. المادة الخضراء القذرة.. جو التوجس والاشمئزاز.. لو صدق ما أراه فنحن بالفعل قد (اخترقنا).. عبرنا الجدار الثخين الفاصل بين الموتى والأحياء.. والأسئلة ما زالت تتردد، بينما تأتي الإجابة بصوت (مدكور):

«هل هناك من قتلك يومًا ما في هذه الغرفة؟»

«لا أستطيع أن أجيب»

«هل قتلت نفسك؟»

«لا أستطيع أن أجيب»

صحيح أنني مذعور، لكن ما الذي يثبت أن هذه ليست تمثيلية؟.. لا شيء.. فقط ذلك العرض الساحر للمادة الخضراء التي تحلق في الهواء، لكن أعتقد أن لدى الحواة الكثير من الحيل المماثلة..

«لم لا تستطيع أن تجيب؟»

«لأن أحدكم ملوث.. أحدكم ملعون..»

شعرت بذلك البلل يغمر قميصي.. مددت يدي أتحسس الياقة ثم رفعتها لأنظر لها.. كانت يدي غارقة في تلك المادة الخضراء المقززة.. وسمعت الصوت من وراء المنديل يهمس

«هذا هو!.. لقد عرف نفسه»

*****

أنا ملوث وملعون؟.. ما معنى هذا؟.. الأشباح تعرف أكثر على كل حال..

كنا جالسين في ظلام نصف تام الآن.. أنا على الأريكة و(مدكور) على الفراش، و(عبد الظاهر) بين هذا وذاك.. الرجلان على مقعديهما يتابعان كل شيء..

قال (عبد الظاهر) في صوت مرتجف موجهًا الكلام لي:

«إنه أنت!.. المادة تغمرك أنت!.. هذه هي العلامة»

ثم سأل الروح:

«وماذا نفعل؟»

جاء صوت (مدكور) الغريب من وراء المنديل:

«الملوث يُقتل.. لو لم تقتلوه فقد استحققتم انتقامي»

«لكن هذا لا يُصدَّق..»

«من لم يصدق قد استحق انتقامي»

صاح (عبد الظاهر) في الظلام:

«أرجو أن تنصرفي.. لا.. بل آمرك بأن تنصرفي»

من خلف المنديل دوت الضحكة الهستيرية:

«فات الأوان أيها السذج!... إنني لم أكتسب لقب (روح شريرة) من دون سبب قوي.. من يله بالنار يحترق بها!..»

كان الأمر أقرب إلى الكابوس، عندما رأيت المصور يسقط على الأرض فتتهشم الكاميرا، وراح يتحسس عنقه وهو يصدر صوت اختناق غريبًا.. كان يقاوم شخصًا غير مرئي يجثم على صدره.. كان يدور حول نفسه كعقرب الساعة وقد استلقى على ظهره وفتح ساقيه.. لقد كان يدور [illegible] على الأرض [illegible]..

صاح (عبد الظاهر):

«اتركه!.. هو لم يؤذك»

جاء الصوت يقول في ثبات:

«إنه لا يصدق ولا يطيع.. ولسوف تلحقون به ما لم تصدقوا وتطيعوا.. الملوث يُقتل»

هنا نهضت بدوري وصرخت:

«كفوا عن هذه الهلاوس!.. هذا الرجل يتكلم بإرادته.. لا يوجد شيء ولا روح تنطق بلسانه..»

يا لهذا الظلام الذي يجعل الحركة صعبة!.. فقط هو يسمح لك بأن تدرك كل شيء، لكنك لا تعي التفاصيل.. مددت يدي فانتزعت المنديل الذي غطى به (مدكور) رأسه فصرخ.. كان عينيه احترقتا من سطوع الضوء.. صرخت بدوري عندما أدركت أنه لا توجد له عينان.. هناك فجوتان..

صرخ (عبد الظاهر) من جديد:

«أنت مخبول؟.. سوف تقتلنا جميعًا»

ولم أدر كيف وثب عليّ هو والرجل الرابع.. كيف جراني من ياقتي فسقطت على الأرض.. هنا جثما على صدري، وراحت أصابع (عبد الظاهر) القوية ترفع رأسي عن الأرض ثم تضربه بها.. مرة ومرة بلا توقف..

الكلام يترجرج في صدري.. لا أقدر على.. أن.. أتكلم...

«أنت.. أنت.. توشك.. على.. على.. قتلي»

«ومن قال العكس؟.. الروح أمرتنا بذلك»

كنت في مأزق مخيف!.. إنهما يقتلانني حقيقة لا خرافة.. وهو ذا الدكتور (مذكور) ينضم للحفل.. يجثم فوقي هو الآخر.. فجوتاه السوداوان تحدقان في، وهو يضغط على عنقي بلا توقف..

إنني.. أمو.. أموت!

أموووووت...

عندما تتسلل لك الشمس من خلال زجاج النافذة.. تشعر بأنها عذراء باسمة تهزك في رفق: أما زلت نائمًا؟.. هلم انهض يا كسول!

ابتسمت لها وهززت رأسي وغمغمت: شكرًا أيتها الحسناء.. كانت ليلتي قاسية.. هنا انفجر بركان من الألم الذي لا يمكن وصفه.. هناك في رأسي حجر رحاية، أو تلك الجسم الذي كنا نهز بذرة المانجو ونحن أطفال فنسمعه يرتج بالداخل..

أنا على أرض غرفة.. بالتحديد الغرفة ٢٠٧.. أتذكر كل شيء.. هؤلاء المخابيل كادوا يقتلونني لكن ماذا حدث بعدها؟.. ولماذا لم يواصلوا المهمة؟..

نهضت إلى الحمام فأفرغت معدتي بسبب كل هذا الغثيان، وغسلت وجهي.. كانت هناك مادة خضراء تشبه النشاء على ياقة قميصي.. بالواقع كانت تلوث ملاءات الحجرة وكل شيء فيها.. هناك مرطبان امتلأ ببلورات خضراء كأنها الزمرد.. هذا هو ما بقي من تجربة الليل.. الاكتوبلازم..

مترنحًا نزلت إلى الاستقبال حيث كانت (هيام) الموظفة الجديدة تملأ بعض الأوراق.. قرأتني وأبدت دهشتها:

«ماذا بك؟.. أين كنت؟.. هل تتعاطى الخمور؟»

«لماذا؟»

«شكلك وهذا الشيء على ياقتك..»

حككت رأسي وطلبت بعض القهوة من الكافتيريا.. ثم سألتها عن نزيل الغرفة ٢٠٧.. الأستاذ (عبد الظاهر) الصحفي.. هل رأته اليوم؟

قالت باسمة:

«أنت تعرف أنه رحل أمس»

رحل؟.. متى؟

«لقد طلب من الخواجة ترتيب جلسة تحضير أرواح.. وافق الخواجة أولاً ثم فكر في الأمر فأعلن أنه غير موافق.. تشاجر معه النزيل، وسرعان ما جمع حقائبه وانصرف!.. أنت مختف منذ البارحة.. ولكن هناك من يقول إنك كنت تمشي في الطابق الثاني وتكلم نفسك»

كنت أحاول تجميع الخطوط.. ربما كان هذا مستحيلاً لولا الألم في رأسي.. معنى هذا؟.. لم تكن هناك أية جلسة تحضير أرواح؟.. إذن من الذين كانوا معي وحاولوا خنقي؟

هنا بدأت استوعب الأمر وارتجفت..

في اللحظة التي غادرت فيها مكتب الخواجة أمس لم يلحق بي الصحفي (عبد الظاهر) ومن معه.. كانوا في المكتب يتناقشون مع الخواجة تلك المناقشة التي انتهت بعدوله عن تجربة تحضير الأرواح، فالشجار معه ومغادرة الفندق..

أما أنا فلم ألحظ أي شيء.. مشيت كالأحمق مع أناس لا وجود لهم صنعهم خيالي.. تكلمت معهم.. دخلت معهم الغرفة.. أغلقتها.. ثم بدأت تجربة تحضير أرواح غريبة ووسيط ومنديل و.. و..

لم أكن مع (عبد الظاهر) و(مذكور) والمصور.. كنت في الحقيقة أمضي ليلتي في الظلام وفي غرفة مغلقة مع السر الشرير الذي يسيطر على هذه الغرفة!..

الروح التي تكلمت لم تكن هي تلك الروح التي تسكن الغرفة.. هؤلاء هم الذين يسكنونها!.. أنا اخترت أن أكون وحدي في غرفة مغلقة مع أشباح!

لقد كان الأمر كله لعبة مخصصة لإفزاعي حتى الموت.. وقد ظفرت الحجرة بالكثير من التسلية الشريرة على حسابي.. وانتهت اللعبة بمشهد بدا لي أنه نهايتي، لكن هذه الأشباح تركت لي تذكارًا مهمًا.. مرطبانًا به بلورات خضراء غامضة..

سوف أتخلص منه طبعًا.. لا أريد أي شيء يمت لهذه الليلة..

يمكنك التخلص من البلورات في الحمام.. لكن هناك بلورات أخرى في روحك لن تزول أبدًا.. بلورات ذكريات تلك الليلة السوداء داخل الغرفة ٢٠٧ ..

شيء ما

ذاك الأسبوع كان مزدحمًا بحق، ففي يوم الخميس جاءت (إيريني) ابنة عم (مينا) مع عريسها.. لقد كبرت الفتاة وتزوجت، وقد رتب لها أبوها أسبوع عسل في فندقنا.. من الطريف أن ترى عم (مينا) المحاسب العجوز الذي تشعر بأنه لا يعرف في الدنيا سوى كشوف الحسابات والأرقام، حتى يذكرك بذلك المحاسب الذي تراه في الأفلام العربية القديمة والذي يقوم بتلحين الميزانية، وفجأة تكتشف أن هذا الرجل أب.. وتكتشف أن لديه دموع تأثر، وأنه يمكن أن يقبل ابنته ويرتجف..

لقد كلمني عن حجز غرفة، وفي ذلك الوقت لم تكن عندي سوى الغرفة ٢٠٧ فقد كان الوسم في ذروته. قلت له في ريبة:

«لو كنت مكانك لنسيت الأمر.. هذه الغرفة خطر داهم ولا أنصح بها بتاتًا..»

فكر في الأمر وجفف عرقه.. ثم قال:

«يا أخي ليست الغرفة سيئة لهذا الحد.. كانت هناك أسرة كاملة فيها منذ أسبوع..»

قلت بلهجة العالمين ببواطن الأمور:

«هذا صحيح.. الغرفة تتصرف بمزاجها، وقد تتجاهل عشرة نزلاء لتتسلى على الحادي عشر. دعك من أنك تعمل بالفندق وتشكل إغراء لا بأس به.. أعتقد أنه لو حدث شيء لحدث لابنتك دون سواها»

قال في توتر:

«إذن ماذا أفعل؟»

وجاء الحل والحمد لله عندما تم إلغاء حجز الغرفة ٣١١ .. هكذا أمكن تسوية كل شيء، وجاءت العروس مع عريسها. وقد أقمنا لهما احتفالاً صغيرًا.. عندما تعمل في فندق تكون قادرًا على مجاملة من تريد بأبسط الطرق. هناك دائمًا معاملة خاصة تدخرها لمن تريد وأنت تبقي هذه المعاملة بعيدة عن عامة النزلاء. هذا يذكرني بما أعرفه عن أن بائعة الهوى لا تسمح للزبائن بتقبيل شفتيها.. لماذا؟.. لأنها تدخرهما لمن تحبه حقًا.. لابد من شيء ما يميزه عن الآخرين. صحيح أنه تشبيه صادم لكنه أقرب مثال يوضح لك الموقف.

جاءت (سارة) المضيفة واستندت إلى الكاونتر وهي تمضغ اللادن وترقب ما يحدث في خبث، ثم قالت:

«عريسها يبدو رقيقًا..»

هززت رأسي وقلت:

«لن تتزوجه على كل حال.. هي فعلت.. حتى لو كان شيطانًا فهذا شأنها..»

قالت وهي تنظر في عيني:

«بعض الرجال يكونون مناسبين أكثر من سواهم»

يجب أن أقول هنا إنني كنت قد بدأت ألين في هذه الفترة بالذات.. كنت مطلقًا منذ فترة، وكنت هشًا نفسيًا بالفعل.. كأنني جدار يبدو قويًا لكن هناك نقطة متداعية من الداخل، ولو طرقت عليها طرقتين لانهار الجدار وسقط.. (سارة) كانت تعرف المواضع الهشة في أي جدار.. وقد طرقت بعناية وبراعة، حتى إنني كنت على وشك أن أقولها في أية لحظة. تسألني بعد هذا لماذا أفرط في التدخين وأكل اللادن كلما ظهرت سارة.. أحيانًا أتمنى لو كنت أخرس أو بلا لسان.. هناك قصة لا أذكر اسمها ولا أبطالها، لكني أذكر فقط أن البطل كان يجلس جوار بئر يدس فيها رأسه تحت الماء كلما أوشك على أن يلفظ كلمة معينة.. هذا هو ما أفعله بلا توقف..

سوف تفلت منك الكلمة في لحظة تهور عاطفي وبعدها لن تعود الحياة أبدًا كما كانت، ولن تستطيع التملص.. (سارة) حسناء وخفيفة الظل وكل تلميحاتها تصب في اتجاه واحد، لكني فشلت في زواجي مرة ولا أريد أن أفشل مرتين.. المرة الثانية هي التي تجعل عدم التوفيق مرة فشلاً.. المرة الثانية هي التي تحول من سرق مرة إلى صاحب سوابق.. هي التي تحول الفتاة التي زلت مرة إلى ساقطة.. تحول الموظف الذي خضع للإغراء مرة إلى مختلس محترف..

سألتني سارة على سبيل التدخل فيما لا يعنيها:

«من الذي يقيم في الغرفة ٢٠٧ الآن؟»

«لا أحد.. لماذا تسألين؟»

ونظرت في حذر لأرى إن كان أحد يسمعنا.. كان هناك شابان يقفان على بعد خطوات ويشعل أحدهما للآخر لفافة تبغ.. قالت لي:

«أنا لست بلهاء.. كلنا يعرف أن هذه الغرفة ليست على ما يرام..»

«صه!.. الخواجة أدلى بتعليمات مشددة منذ زمن سحيق.. ربما قبل أن تولدي أنت، وهذه التعليمات تنص على عدم الكلام عن الغرفة..»

«ماذا يوجد في الغرفة ٢٠٧ هذه؟.. هل تعتقد أن هناك شخصًا مدفونًا في جدرانها؟»

قلت في غيظ:

«كفي عن السخف!»

ولاحظت أن أحد الرجلين الواقفين يتابع ما أقول فجن جنوني. إنهما نزيلان في الغرفة ٢١٢ لكنهما سوف يثرثران كثيرًا.. لذا قلت لها آمرًا:

«سارة. لا مزاح في هذه الأمور.. من السهل أن يعود كل منا إلى بيته هذه الليلة بالذات.. بالنسبة للخواجة ليس هناك شخص عزيز أو لا يمكن الاستغناء عنه..»

قالت (سارة):

«ولماذا تصرون على أن تظل الغرفة ٢٠٧ مفتوحة؟.. لماذا لا تغلقونها تمامًا أو تحولونها إلى مكان مفتوح؟.. قاعة انتظار مثلاً.. امتداد للشرفة.. الخ...»

«أنا لست مدير هذا الفندق.. هذه نقطة.. النقطة الثانية هي أنها تجلب مالاً...»

قالت وكأنها ترتجف:

«لو كنت أنا الخواجة لصببت فيها الخرسانة حتى تتحول إلى شيء مصمت..»

«لحسن الحظ أنك لست الخواجة..»

رفعت حاجبيها في نوع من الدعابة الفضولية، ثم انصرفت بسرعتها المعتادة.. سرعة البرق.. كانت من المنصورة، وهذا يعطيك فكرة عن مدى جمالها.. لكني لن أضعف. لن أفشل ثانية.. لن...

كنت غارقًا في هذه الخواطر عندما ظهر (مايكل ثورنتون).. كنت أؤمن أنه لا يمكن أن تثق فيمن يكون اسمهم (مايكل ثورنتون) وكنت على حق..

سائح بريطاني في الخمسين من العمر.. هذا ما يمكن أن تستخلصه من أوراقه. أما ما لا تقوله الأوراق فهو أنه صموت جدًا.. شاحب جدًا.. حول عينيه هالات كثيفة من السواد.. يلبس قميصًا واسعًا يطل منه عنقه النحيل المليء بالتجاعيد.. عامة تشعر بأن جلده كان مشدودًا بشدة ثم تلاشى الشد فارتخى وتجعد.. الأوردة واضحة جديرة بأي أطلس تشريح..

حول عنقه قلادة غريبة الشكل وهناك وشم على صدره.. في أذنه قرط متدل. يجب أن أذكرك بأن هذه الأمور لم تكن موجودة على الإطلاق في ذلك الزمن.. كان الرجال الغربيون

يبدون مثلنا ويلبسون مثلنا. توصلت إلى الاستنتاج الوحيد المعقول في ذهني وأخفيته على الفور: هذا رجل شاذ جنسيًا.. هذا من شأنه على كل حال ما لم يطلب موظف الاستقبال في الرابعة صباحًا لإصلاح تكييف الحجرة!.. وقتها لن أذهب!

قال لي:

ـأريد غرفة تطل على البحر..

ثم فكر حينًا وقال:

ـكان هناك سياح بريطانيون هنا منذ شهر.. قيل لي إن الغرفة ٢٠٧ مناسبة!

فهمت!.. لم يقم سياح بريطانيون في تلك الغرفة منذ عامين على الأقل.. كلامه كذب لا شك فيه، وهو يعتقد أننا ننسى من يقيمون في تلك الغرفة..

على كل حال لم أجد ما أفعله سوى أن أنهي الإجراءات..

وكنت على يقين من أن قصة جديدة تبدأ في هذه اللحظات بالذات..

ooooo

استقر الأخ (مايكل) في غرفته وبدا أن الهدوء ساد المكان..

اتصلت بالعربيين في الغرفة ٢١١ عارضًا خدمة لكنهما لم يردا.. هكذا وضعت السماعة وجلست أثرثر مع (مصطفى) ونشرب الشاي..

في ساعات الصباح المبكرة هذه يتلاشى القناع الرسمي المميز لموظفي الفندق، وتسود حالة من الانفلات المحبب.. إن السهر يضعف قدرتك على الوقار، وتزول تلك الخنافة التي تصطنعها في تعاملات النهار.

هنا دق جرس الهاتف..

نزيل الغرفة ٢٠٧ يطلب من يصلح له جهاز التكييف!! توقعت هذا كما قلت لك. ولما كان من الصعب أن أتصل بالصيانة في هذه الساعة فقد قررت أن أصعد إلى الغرفة.. عليّ أن أكون حذرًا لأنني لا أرتاح لهذا الرجل أكثر من ارتياحي لأي شاذ جنسيًا يطلبني في الرابعة صباحًا..

قرعت الباب فانفتح.. توقعت أن يكون مرتديًا روبًا زاهي الألوان ويدعوني إلى كأس.. هكذا تسير الأمور، لكني كنت أعرف أنني لو رأيت هذا المشهد لفررت كما أفر من الأسد.. إلا أن الرجل فتح لي الباب فقوجئت بأنه بكامل ثيابه كما كان وهو يطلب الغرفة.. رجل وقور جدًا باستثناء الوشم والقرط ويبدو أنني أسأت الظن فيه.

كانت الغرفة حارة فعلاً.. وقد فهمت بلغتي الإنجليزية العرجاء أنه لم يشغل التكييف إلا من ربع ساعة (لأن الطعام سوف يفسد).. أي طعام؟

نزعت حذائي وصعدت على مقعد وفككت غطاء جهاز التكييف المركزي في السقف ونظرت.. لا توجد مشكلة.. هكذا نزلت وبدأت أعبث في الثرموستات..

قلت له:

ـمن الغريب أنك لم تبدأ التشغيل إلا الآن..

لقد كانت زجاج الشرفة مغلقًا وهذا يجعل الغرفة لا تطاق فعلاً.. لو فتح الزجاج لهب هواء البحر يملأ الغرفة ويطير كل شيء..

قال لي وهو يشهق:

ـاعتدت الحرارة العالية. قضيت أكثر حياتي في جزر الكاريبي لهذا لا ألاحظ الحر إلا في الظروف القصوى..

ـهل أنت مستكشف؟

ـلا.. أنا مصور..

أخيرًا بدأ جهاز التكييف يهدر.. نظرت له وابتسمت... فضحك للمرة الأولى.. هنا لاحظت أن أسنانه مشرشرة حادة بطريقة غريبة..

كان يواصل كلامه:

ـمن الجميل أن تجوب العالم وأن ترى ثقافات جديدة.. لا تتصور العادات الغريبة التي اكتسبتها من تعاملي مع سكان تلك الجزر..

هززت رأسي في تهذيب ثم سألته عن عشائه.. لقد جاء بعد ما انتهت الخدمة في المطعم، فقال:

ـسأتصرف.. لا تقلق..

اتجهت للباب، عندما دست جوار الفراش والحقيبة المفتوحة على شيء صلب غريب.. انحنيت لأرفعه، ففوجئت بأنه عظمة.. عظمة قصبة رجل لا شك في ذلك.. حجمها يؤكد يقينًا أنها بشرية..

رفعت عيني وفيهما علامتا استفهام، فقال ضاحكًا:

«قلت لك إنني قابلت ثقافات غريبة..»

«فهمت.. الثقافات التي تحتفظ بعظام بشرية على سبيل الذكرى؟»

قال وهو يضع العظمة في الحقيبة:

«لا.. هم يقدسون أشياء غريبة، وقد جمعت الكثير من التذكارات.. حقائبي مليئة بالغرائب..»

«لا أشك في هذا..»

وكنت متلهفًا على الانصراف بطبيعة الحال، لكنه فتح حقيبة أخرى وأخرج زجاجة يبدو أنها تحوي نوعًا من الخمور، وقال:

«هذه بيرة محلية قوية جدًا.. جزء آخر من ثقافتهم.. أنا مصمم على أن تجربها معي..»

بالطبع هذا آخر شيء أنوي عمله.. كنت أتوقع أن يدعوني للشراب وعرفت من أول لحظة أنني سأرفض بشدة..

«شكرًا.. أنا منهك من العمل الآن..»

قال بلهجة الترغيب:

«يمزجونها بمادة نباتية اسمها أياخواسكا.. هذه المادة مصدر ممتاز لمادة DMT.. هذا يجعل شربها تجربة شبه صوفية.. سوف تهلوس وتستمتع..»

«هذا يزيد من إصراري على الاعتذار..»

وحانت مني لفتة إلى الحقيبة التي أخرج منها الزجاجة.. لماذا يحب السياح البريطانيون المصورون أن يضعوا كل هذه المدى العملاقة في الحقيبة؟.. لم أر هذه المجموعة من المدى من قبل إلا في حزام الجزار الذي يدور على البيوت بعد صلاة عيد الأضحى.. فقط لابد من فراء خروف دام وكيس به بعض الأمعاء كي تكتمل الصورة..

رأيته يرفع الزجاجة إلى فمه فيجرع منها جرعة هائلة.. لو كانت تحوي مادة تسبب الهلوسة فهو منيع بالنسبة لها..

هززت رأسي محييًا وفررت من الغرفة..

سوف يتناول عشاءه حالاً ولكن أي عشاء؟

عدت إلى الاستقبال ولم أجلس خلف الكاونتر.. كان الأنتريه المعد في اللوبي فارغًا لذا جلست هناك واسترخيت ونزعت حذائي وأشعلت لفافة تبغ..

هنا دق جرس الهاتف..

كان المتكلم أحد نزيلي الغرفة ٢١٢ الشابين.. قال لي:

«كنت أمر في البهو منذ دقائق.. هناك أصوات غريبة من الغرفة ٢٠٧.. أصوات مكتومة كأن هناك من يستغيث..»

قلت بلا مبالاة:

«سيدي، أنا كنت هناك منذ عشر دقائق.. كل شيء هادئ..»

عاد يقول:

«هل رأيت زميلي في الغرفة؟.. ذلك الشاب فارع الطول.. (محمود).. لقد خرج منذ نصف ساعة بالمنامة.. لا أعرف ماذا سمعه أو سبب خروجه لكنه لم يعد..»

قلت في نفاد صبر:

«سيدي.. لم يمر عليّ أي واحد بالمنامة ولو حدث للاحظت هذا حتمًا.. ابحث عن زميلك في الشرفة أو في غرفة أخرى..»

«لكنه لم يغادر الفندق.. من المستحيل أن يفعل وهو بالمنامة..»

«ألا يجعلنا هذا نشعر بالراحة؟»

ووضعت سماعة الهاتف مغتاظًا.. أكره النزلاء الذين يتصرفون كالأطفال.. هؤلاء الذين يمكن أن يتصل بك أحدهم شاكيًا من أن ظهره يؤلمه أو أنه يحلم بكوابيس..

رحت أفكر بعض الوقت ثم بدأت أشعر بعدم راحة..

نعم.. إنها الفكرة التي تتكون كبذرة ثم تنمو ثم تورق ثم تثمر.. لن أخسر شيئًا لو رأيت بنفسي..

هكذا استقللت المصعد إلى الطابق الثاني، ومشيت حتى الغرفة ٢٠٧.. كان هناك نور يتسرب من أسفل الباب.. دققت الباب مرتين في حذر عالمًا أن موقفي سخيف وقد ينتهي بالتوبيخ في أفضل الحالات.. ولاحظت أن البريطاني وجد لافتة (لا تزعجني) الموضوعة في الدرج وعلقها على مقبض الباب.. هذا يعني أن جريمتي مضاعفة.

انفتح الباب وظهر الدعو (مايكل) وهو مندهش.. قلت له في كياسة:

«معذرة.. أعتقد أن هناك مشكلة في جهاز التكييف عندك.. يبدو أنني أخطأت في ضبطه.. هل لي أن ألقي نظرة؟»

قال في برود وهو يلوك شيئًا ما:

«بالطبع لا.. أنا أتناول عشائي الآن.. والتكييف يعمل جيدًا..»

«المشكلة هنا أنه قد يعمل عندك جيدًا لكنه يؤثر في الغرف المجاورة.. ربما لو سمحت لي بأن.........»

«لا..»

كان يسد الباب بجسده بحيث لم يعد أمامي سوى أن أشتبك معه جسديًا لو أردت أن ألقي نظرة.. للحظات وقفنا نتبادل النظرات.. كأنه صراع حيوانين على منطقة نفوذ..

في النهاية هززت رأسي معتذرًا وتراجعت..

وانغلق الباب في وجهي...

هناك شيء ما يجري بالداخل.. أعرف ما هو تقريبًا لكني لا أجرؤ على التصريح به.. هنا وثبت مترين في الهواء لأن يدًا لمست كتفي.. وسمعت من يقول لي:

«هل قابلت زميلي؟.. إنه لم يعد بعد»

●●●●●

والآن كف عن اتهامي بالجنون ورتب أفكارك معي:

١. رجل غريب الأطوار يتحدث عن تجارب (خاصة) في الكاريبي.

٢. الرجل اختار الغرفة ٢٠٧ ألعن غرفة في الفندق.

٣. لم يتناول عشاءه بعد لكنه سيتصرف.

٤. هناك عظمة آدمية تحت فراشه.

٥. معه مجموعة غريبة من المدى التي لو حملها جزار لاتهمته بالمبالغة.

٦. حاول أن يغريني بشرب تلك البيرة القوية الغريبة.

٧. إنه يرفض أن يدخل أحد غرفته الآن.

٨. يتزامن هذا مع اختفاء نزيل شاب. نزيل اختفى بثياب النوم وهذا يعني أنه موجود في الفندق.

٩. هناك أصوات صراخ تخرج من الغرفة.

وهذه الملامح الغريبة والجلد المشدود.. أليست هذه سمات أكلة لحوم البشر كما علمونا في القصص؟

والآن لو كنت مكاني فماذا تستنتج؟.. الحقيقة أنه لو كان هناك أكل لحوم بشر في العالم، وقرر أن يتخذ مسكنه في فندقنا، فلن يختار سوى تلك الغرفة.. ٢٠٧.. هذا شيء معروف..

علي أن أفكر بسرعة.. لو لم أكن مجنونًا لكان عامل الوقت مهمًا جدًا.. ربما لم يعد مهمًا لكن علي أن أفترض أنه ما زال كذلك..

قلت للرجل نزيل الغرفة ٢١٢:

«هل تعتقد أن صاحبك قصد الغرفة رقم ٢٠٧؟»

بدت عليه الحيرة فالتردد.. ثم قال بعد قليل:

«في الحقيقة.. كان ساكن تلك الغرفة يقف بزجاجة (مسكر) على الباب يجرع منها وينظر لنا.. اقتنعت على الفور أنه يريد الشراب وهو (صاحب مزاج).. كان يموت من الظما.. أقنعته بأن يهدأ قليلاً.. لكنه غادر الغرفة بينما أنا في الحمام.. لا أرى ما يمنع من أن يكون قد لحق بهذا الأجنبي في الغرفة.. لكن لا توجد وسيلة للتأكد»

نعم. الآن أرى السيناريو واضحًا.. البحث عن شاب يقاسمه الشراب.. الشراب الذي يحتوي على مادة (أياخواسكا) تلك.. طبعًا شرب (محمود) جرعة وفقد وعيه.. هكذا يبدأ الحفل..

قلت للفتى:

«لدي كل ما يدفعني للاعتقاد بأن صاحبك في خطر.. لكن لا يمكن طلب الشرطة.. ليس من حقنا تفتيش الغرفة..»

نظر لي في خطورة، ثم قال:

«دعني أفكر.. كم واحدًا منكم هنا في هذه الساعة؟»

فكرت قليلاً.. هناك أنا.. و(مصطفى) وهناك رجل الأمن (مختار)، وهو نائم في مكان ما ومن المستحيل العثور عليه.. فيما عدا هذا لا يوجد سوانا متيقظًا.

قال لي:

«سوف أمنحكم فرصة لدخول الغرفة وتفتيشها.. لكن عليكم أن تبقوا فيها حتى تسمعوا صوت مواء القط.. هل تفهم؟.. مواء القط!.. لا يجب أن يراكم هذا الأجنبي تخرجون من غرفته بأي ثمن.. أنا سوف أعمل على إبعاده ولن أعطيكم الإشارة إلا عندما يكون الطريق خاليًا»..

هكذا تم تنفيذ المخطط بدقة..

وقفت و(مصطفى) الذي عرف تفاصيل القصة.. في ركن الردهة المظلم.. هنا ظهر الفتى المصري واندفع نحو باب الغرفة ٢٠٧.. قرع الباب مرة ومرتين.. سمعنا صوتًا غاضبًا يتململ من الداخل، ثم انفتح الباب ليظهر البريطاني عاري الجذع.. من مكاني كان بوسعي أن أرى الشرر يخرج من عينيه وهو يتساءل عما هنالك..

هنا كان الفتى المصري يلعب دوره كأفضل ما يكون.. راح يصرخ ويتكلم ويلطم خديه.. طبعًا هو لا يجيد الإنجليزية لكنه أرسل رسالة استغاثة عالية.. من حين لآخر يهتف بالعربية:

«ساعدني يا خواجه»..

ويشير لنهاية الممر من الناحية الأخرى.. الرسالة معناها أن هناك كارثة ما.. يجب أن تأتي لتساعدني..

في النهاية لم يجد البريطاني بدًا من إغلاق بابه واللحاق بالفتى..

ما إن تواريا حتى اندفعت و(مصطفى) وفتحنا باب الغرفة ٢٠٧ وتسللنا إلى الداخل.. كان قلبانا يوشكان على التوقف من الانفعال..

كانت الغرفة في حالة من الفوضى.. التلفزيون مفتوح.. الحقائب تم إفراغها فيما عدا حقيبة واحدة واضح أنها تلك التي تضم (التذكارات).. فتحتها وبحثت داخلها فوجدت تماثيل صغيرة يبدو أنها من تذكارات الكاريبي.. هناك قلادة غريبة الشكل، وقطع نسيج لها طابع وطني.. لا أعرف أي وطن بالضبط..

لم أجد سوى تلك العظمة التي تعثرت بها..

لم يكن هناك شيء في الغرفة ولا تحت الفراش.. قلت لمصطفى وأنا أمسك معدتي:

«الحمام!.. ألق نظرة في الحمام!.. لا أريد أن أرى»..

فتح الباب في حذر وأطل برأسه.. ساد صمت طويل.. صحت:

«ماذا هناك؟»

قال وهو يخرج رأسه:

«لا شيء.. لقد أخذ (دوش)»

إذن أين الفتى (محمود)؟.. أين بقاياه؟.. أين ذلك العشاء؟

كانت الإجابة تنتظرنا على الفراش.. جريدة مفتوحة بها بقايا شطائر من الفول والطعمية.. هذا هو العشاء وهو عشاء بائس جدًا.. بريطاني مفلس غلبان مثلنا إذن.. (الطعام سوف يفسد).. منك لله يا شيخ.. كنت تتكلم كأنك ستأكل خروفًا مشويًا!

قال (مصطفى) في حيرة:

«ما معنى هذا؟»

قلت بائسًا:

«معناه أنني أحمق.. هذا مجرد رجل بريء غريب الأطوار.. إنه مولع بثقافة الكاريبي لكنه ليس كما حسبت.. لقد كان الإنذار خاطئًا..»

«والفتى المختفي؟»

«سوف نجده في مكان آخر..»

اتجه (مصطفى) للباب ليفتحه، لكني استوقفته في حزم.. لابد من مواء القط.. لو فتحنا الباب ووجدنا البريطاني أمامنا لكان هذا العن موقف يمكن تصوره.. كلا.. لا يمكن أن نخرج الآن..

هكذا انتظرنا وانتظرنا.. لابد أن نصف ساعة مر علينا ونحن نتبادل النظرات القلقة.. في النهاية قلت لمصطفى إننا لن ننتظر للأبد.. فتحت الشرفة واستعملت ذلك المدخل السري بالعكس.. أي إننا وثبنا فوق الحاجز لنخرج إلى الشرفة الرئيسية..

بعد دقائق كنا في الردهة..

هنا سمعت صوت الأنين.. هرعت لأرى ما هنالك فوجدت البريطاني راقدًا جوار جدار وهو يتحسس رأسه.. لقد ضربوه!

ساعدناه على العودة إلى غرفته وأرقدناه في الفراش بينما هو يقول كلامًا مختلطًا يستحيل فهمه..

هرعت إلى الغرفة ٢١٢ فوجدتها مفتوحة.. دخلت لأجد أنه لا يوجد فيها تلفزيون والثلاجة الصغيرة قد اختفت...!

هرعت إلى الاستقبال فشعرت كأن إعصارًا مر هناك.. كل ما هو جميل أو يبدو قيمًا قد تم أخذه.. أما الدرج الذي أحتفظ فيه بالنقود فقد تم تحطيمه وأخذوا ما فيه برغم أنه ليس مبلغًا كبيرًا...

لا أثر لنزيلي الغرفة ٢١٢...

عندما عاد (مصطفى) أخبرته بمعنى هذا كله.. عندما كنت أتكلم مع (سارة) عن الغرفة ٢٠٧ سمعنا نزيلا الغرفة ٢١٢ وفكرا في طريقة لاستغلال تلك الغرفة، خاصة بعد ما لاحظا الدرج الذي أضع فيه المال.. هنا ظهر النزيل البريطاني غريب الأطوار.. فكرا في أنني سأصدق أي شيء يقال عن هذا النزيل وعن تلك الغرفة..

بالطبع لم يعرفا أنني أفكر في موضوع [illegible] لحوم البشر.. لكنهما فكرا في أن يختفي أحدهما وتحوم الشكوك حول البريطاني.. [illegible] الفندق داخل تلك الغرفة لتفتيشها.. ننتظر مواء القط الذي لن يأتي أبدًا كما لن يأتي (جودو).. في هذا الوقت يفرغان غرفتهما من كل ما هو ثمين، ويهرعان إلى الاستقبال الفارغ المقفر فيسرقان ما يقدران عليه، ثم يفران إلى سيارة تنتظر بالخارج؟..

هذه المرة لم يكن الخطر من الغرفة ٢٠٧.. كان من الغرفة ٢١٢!

طبعًا هناك بيانات عنهما في دفتر الفندق، لكن من قال إنهما لا يحملان هويتين مزورتين؟.. هناك شخص واحد أثق به وأعرف من هو يقينًا ألا وهو البريطاني غريب الأطوار.. كان رأيي دومًا أنه بوسعك أن تثق في البريطانيين الذين يحملون اسم (مايكل ثورنتون).. ألم أخبرك بهذا من قبل؟

قلادة وعطر وساعة حائط

قلت لعم (مينا) و(مصطفى) ونحن نتناول طعام العشاء:

«هذه الغرفة ملعونة»

نظرا لي في غباء، ثم قال (مصطفى):

«ما شاء الله.. بعد عشرين عامًا وعشرات القصص المخيفة تأتي أنت في ذكاء لتقول لنا ما نعرفه منذ دهر.. كان ابن عمي في بلدنا يطرق بابي ليقول لي في حماس: أنا متأكد أن إسرائيل تدبر شيئًا.. الطريف في الموضوع أنه كان يقول هذا بعد هزيمة ٦٧ بعامين!»

قلت في غيظ:

«لم أكمل كلامي بعد.. قلت إن هذه الغرفة ملعونة، وإن علينا أن ننهي هذه القصة بأي شكل.. يجب أن تُغلق للأبد..»

كان العشاء أمامنا على ورقة جريدة، وكنا نأكله على عجل في ركن من الكافتيريا على منضدة صغيرة. (ممدوح) عامل الكافتيريا يعد لنا الشاي بسرعة والمكان مغلق علينا والإضاءة خافتة.. على الجريدة هناك عدة أرغفة وبعض مثلثات الجبن وبيض.. هناك طعمية ابتاعها مصطفى من الخارج.. هكذا كنا نتكلم بأفواه مليئة.

قال لي عم (مينا):

«هل تعتقد أنك صاحب الفندق؟.. لا يمكنك أن تنقل مقعدًا من دون إذنه»

«لهذا أفكر.. أفكر..»

ودسست لقمة عملاقة في فمي.. لقمة من الطراز الذي يصلح للتفكير..

انتهى العشاء فجلسنا نشرب الشاي وندخن على عجل.. إن (مراد) الشاب ينتظرني هناك على الكاونتر نافد الصبر ليرحل. عندما كانت الصحة تسمح كنت أضيف للشاي شيئًا ما، على فرض أنه يساعد على السهر. لكني أحمد الله على أنني ما زلت قادرًا على شرب الشاي على الأقل..

عدت إلى الكاونتر وشكرت (مراد) على الوقت الذي قضاه.. كان هو متورطًا في كتابة بيانات نزيل. بالنسبة لشاب عديم الخبرة تبدو هذه العملية أعقد من كتابة ملحمة إغريقية. هكذا وقفت أراقبه باسمًا وأنا أراه يفحص بطاقة النزيل ألف مرة، ثم يضعها وينسى أين وضعها.. ثم يكتشف أنها تحت الدفتر فيخرجها فقط ليكتشف أنه أضاع القلم.

قلت له مصححًا:

«لا تكتب هذه البيانات هنا.. إن..»

هنا دق جرس الهاتف فرفعت السماعة..

نزيل الغرفة رقم ٢٠٥ يقول إن هناك أصواتًا غير مريحة قادمة من الغرفة المجاورة.. هكذا يبدأ ٩٠٪ من قصص الغرفة ٢٠٧ اللعينة..

يا فتاح يا عليم... أشعر تحت جلدي بذلك الشعور المريب.. هناك قصة ما توشك على أن تبدأ..

اتصلت بخدمة الغرف وطلبت من الفتى (إبراهيم) أن يفحص الغرفة ٢٠٧.. لا يوجد نزلاء فيها حاليًا ومعنى هذا أن شيئًا يتحرك فيها.. طبعًا لم أقل له هذا وإلا لما اقتنع بالصوت الحيواني. لكني قلته لنفسي... مع الوقت صارت التفسيرات الخارقة تحل أي سؤال يعن لي بصدد الغرفة ٢٠٧.. هذا أراحني كثيرًا.. كل شيء يبقى على حالته من حيث السكون أو الحركة في خط مستقيم بسرعة منتظمة على رأي الخواجة نيوتن، ما لم يتدخل عفريت.. هذه هي إضافتي..

بعد قليل اتصل بي. إبراهيم لا نيوتن. من الطابق الثاني.. من الغرفة نفسها.. قال لي إن كل شيء على ما يرام.. فقط ساعة الحائط كانت معطلة وكانت تدق بلا انقطاع.. هو أصلح كل شيء فلا داعي لأن أقلق..

شكرته بشدة.. إذن ساعة الحائط كانت هي سبب كل هذه الجلبة.. لا مشكلة من النوع الذي يثير رعبي. ثم توقفت لحظة.. من قال ومنذ متى كانت هناك ساعات حائط في فندقنا؟... على قدر علمي لا توجد ساعة حائط في أية غرفة..

لكن هذه كذلك ليست مشكلة خطيرة. ربما جلبها أحدهم أو ربما هم عاملو النهار. أنا لا أتابع كل شيء يحدث في كل غرفة هنا..

رحت أمارس عملي المعتاد وهو ليس كثيرًا في هذه الساعة، ولعل هذه من مزايا نوبتجيات السهر..

هنا سمعنا صوت عربة الشرطة بالخارج.. السرينة الكئيبة المولولة إيابًا تعوي من نياط قلبها، ورقصة الأضواء الزرقاء والحمراء.. ماذا حدث؟

تركت الكاونتر وهرعت إلى الخارج حيث كان رجلا أمن من فندقنا يقفان يراقبان ما يحدث.. رأينا مجموعة من رجال الشرطة يتكاكاون على شيء ما.. تبينت أنه رجل يحاول المقاومة، ويصرخ كالمجانين، لكنهم أوسعوه ضربًا حتى يهدأ حماسه قليلاً..

كانت المسافة بعيدة فلم أميز شكل الرجل، لكني سمعت صوت الكلابش وهو ينغلق على معصميه، وتعاون رجال الشرطة على دفعه داخل السيارة..

قال أحد رجلي الأمن مستمتعًا بما يحدث:

«حاول الجري لكن أحدهم باغته بـ(مقص حرامية)»

وقال آخر:

«بيني وبينك رجال الشرطة هؤلاء غير بارعين.. لو كنت أنا مكانهم لوجهت ركلة في أعضائه الحساسة ثم سيتمدد على مؤخرة عنقه.. هكذا لن يقاوم»

ثم رأى أنني أتشكك بهما فقال لي في حماس:

«نعم.. ذات مرة كان هناك نزيل يحاول الفرار.. وجهت له ركلة في منطقة حساسة.. هوى كالثور المذبوح..»

سألته على سبيل التحقق:

«ومم كان ذلك النزيل يفر؟»

«لم أعرف!.. كان يفر وكفى..»

«أنت ركلت نزيلا لا تعرف سبب فراره في...... أمم؟»

«نعم..»

ابتلعت تعليقاتي التي لن تروق له وسألته عن سبب فرار هذا الرجل الذي قبضت عليه الشرطة الآن..

«لا أعرف.. ربما هو لص..»

عدت إلى الداخل وأنا أرتجف.. لا أحب مشاهدة العنف إلا على شاشة التلفزيون.. فيما

عدا هذا تبدو الأمور قاسية جداً واقعية جداً.. عندما لا يكون الدم صلصة أو مربى فراولة تشعر بالقلق..

وقفت على الكاونتر أفكر.. هناك رائحة عطرية قوية جداً.. رائحة عطر من الطراز الذي يستحضر أمامك فتاة حسناء.. تشعر بأنه رائحتها هي وليس عطراً.. في ذلك الوقت كان هناك إعلان تلفزيوني شهير عن مزيل لرائحة العرق، يمر فيه طيف شبحي يمثل الفتاة في الردهة قبل مرورها بفترة، وهذا كان يلفت نظر الجميع..

أتذكر هذا الإعلان الآن.. من أين جاء العطر؟.. لا توجد أية فتاة من حولي.. بالأحرى لا يوجد بشر..

كرراش!.. هنا اصطدمت قدمي بشيء على الأرض.. انحنيت لأرى ما هو فوجدت قلادة.. قلادة ذات دلاية رخيصة الثمن وقد تمزقت كأن هناك من انتزعها عن عنق صاحبها أو صاحبتها.. أضف لهذا أنني لست خفيف الوزن وقد سحقتها بقدمي دون أن أشعر. رفعتها ووضعتها في سلة المهملات الصغيرة جوار الكاونتر وأنا أتساءل عن مصدرها.. إن النزلاء يفقدون أشياء طيلة الوقت وإلا ما كانوا نزلاء.. لكن على الأرجح لن يعود أحد ليبحث عن هذه القلادة (الفالصو)

جاء مصطفى ليستلقي على الأريكة التي تتوسط اللوبي.. فما كاد يسترخي قليلاً حتى دوى صوت الطلقة..

طلقة رصاص ارتج لها المكان وقد جاءت من خارج الفندق.. ومع الطلقة صوت صرخة أنثوية!

*****

جرى مصطفى إلى باب الفندق ليعرف مصدر هذه الطلقة، فهو في هذا أحمق آخر من الذين تعج بهم صفحات الحوادث.. هناك صوت طلقات.. إذن هناك طلقات!.. وبعض هذه الطلقات يطير في الهواء نحوك كما تعرف.

قلت له وأنا أقف خلف الكاونتر:

«ابتعد عن الباب يا أحمق.. هناك طلقات طائشة بالتأكيد»

لم يعلق كأنني أكلم نفسي.. وقف في الظلام بعض الوقت يتابع ما يحدث، ثم غادر المكان.. مددت يدي إلى سماعة الهاتف وطلبت الشرطة.. هناك من يطلق الرصاص أمام فندقنا.. لا.. أنا

متأكد من أنه لا يوجد حفل زفاف أو شيء من هذا القبيل.. ليست صواريخ أطفال والله العظيم. تعالوا لو رغبتم في ذلك فقدومكم يسرنا.. لو لم تأتوا فهذا حظنا السيئ..

عندما وضعت السماعة عاد لي مصطفى وتثاءب وتمدد على الأريكة.

«ماذا حدث؟»

غمغم بشيء ما، وضم يديه على بعضهما وأغمض عينيه ليواصل النوم. صحت في غيظ:

«ماذا رأيت يا أحمق؟»

قال بلا مبالاة:

«امرأة قتلت.. يبدو أن زوجها أطلق عليها الرصاص أو شيء من هذا القبيل.. لا تهمني هذه الأمور..»

«وهل قبضوا عليه؟»

«هناك زحام في الخارج.. لا أعتقد أنهم قبضوا عليه.. على كل حال الإسعاف قادمة..»

وقبل أن أسأل المزيد كان قد غرق في سبات عميق.

هكذا جلست وحدي أنتظر قدوم رجال الشرطة.. لماذا تأخروا إلى هذا الحد؟.. لو أراد القاتل أن يتسلى على كل نزلاء الفندق لوجد الوقت الكافي لذلك..

فجأة رأيت ذلك الرجل.. أعني رأيت انطباعاً عاماً عنه لأني لم أشعر به إلا عندما بدأ الركض.. رأيته يندفع من فتحة الدرج الملاصق للمصعد.. رأيته يقف جوار باب المصعد وينظر له في ثبات.. يضغط الزر مرة أو مرتين، ثم يندفع كالقذيفة نحو باب الفندق.. بنفس السرعة والشراسة اللتين يندفع بهما قط محاصر بين قدميك. لم أستطع تمييز أي شيء منه.

«يا أستاذ!.. لحظة!»

لكنه كان قد توارى في الظلام.. من هو؟.. لماذا يجري؟.. هل هو الذي أطلق الرصاص على المرأة؟.. مستحيل!.. هو لم يدخل أمامي والجريمة تمت في الخارج..

على كل حال تبدو هذه الليلة (من تلك الليالي).. الأحداث عاصفة صاخبة تبدأ بساعة تصدر جلبة (برغم أن أحداً لم يضعها) والقبض على لص في الشارع وطلقات رصاص ورجل يجري..

ومصطفى نائم كالثيران لو أن الثيران تنام.. رجلا الأمن كذلك نائمان في مكان آخر على الأرجح.. أين ذلك المتحمس ليصطاد ذلك النزيل القذر بركلة في منطقة حساسة كما قال؟.. إنه نائم طبعًا ولو سرقوا الفندق كله فلن يدري..

أين الشرطة؟.. لابد أنهم حسبوا مكالمتي دعابة.. لكن ألم يتصل بهم أي واحد ممن سمعوا الطلقة؟

هنا رأيت رجلاً لم أره من قبل يتقدم في ثبات نحو الكاونتر..

كان مبعثر الشعر أحمر العينين له كل سمات الوحش الجريح، وقد انفتح قميصه ليكشف عن غابة من شعر كثيف ساعد في إعطائه صورة الغوريلا فعلاً.. ثيابه نفسها مبعثرة تدل على أنه ارتداها على عجل..

تقدم نحوي وقال بصوت معوج مجنون:

«أين هي؟»

«من هي؟»

قلتها في كياسة.. فاتسعت حدقتاه.. إنه كالغوريلا كما قلت.. في كل لحظة يعطيني دليلاً آخر على طبيعته الحقيقية.. قال لي:

«لا تكذب.. رائحة عطرها في كل مكان..»

في هذا هو محق.. لا أعرف من هي لكن عطرها واضح فاضح. إنها في كل مكان هنا..

قلت في تهذيب وتقية:

«سيدي.. أنا نفسي لا أعرف مصدر هذا العطر..»

نظر لي بعينين محمرتين.. ثم تصلبت عيناه على شيء في أعلى صدري.. قبل أن أفهم كان قد انتزع قلادة معلقة في عنقي. أنا ألبس قلادة؟.. مستحيل.. لكن ما دام انتزع قلادة فقد كانت هناك قلادة لو أردت رأيي..

قال بذات الصوت المنذر:

«وهذه؟»

وألقاها على الأرض في اشمئزاز كأنها ملوثة بالبول، ثم ضاقت عيناه أكثر وغمغم:

«هي لعبة.. لعبة كبيرة.. لكني لا أُخدع.. سوف أدبرها ثم أعود إليك.. انتظر دورك أيها (خرنج)»

وتركني متجهًا إلى الدرج..

أنا (خرنج)؟.. كنت أحسبهم كفوا عن استعمال هذه الكلمة منذ أفلام الستينات، وكانت مقصورة على رجال العصابات، وبصفة خاصة ذلك الدوبلير العملاق الأصلع الذي أعتقد أن اسمه كان (نصري)..

كنت في غاية الحيرة.. ما الذي أتى بهذه القلادة هنا؟.. أنا تخلصت منها.. لم تمس عنقي قط.. أعرف هذا يقينًا..

من هذا الرجل؟.. هو ليس نزيلاً... فلماذا يهددني؟.. من هي؟

فقط أنا متأكد من شيء واحد: هذا الرجل سوف ينفذ تهديده حرفيًا.. لديه كل الإمكانات التي تسمح له بذلك..

رفعت سماعة الهاتف ورحت عبثًا أحاول العثور على أي رجل أمن هنا.. يجب أن أشكوهم في الصباح لو كانت النقابة موجودة.. أنا من أجل النوم فقط لن يسمع أي واحد آخر..

على كل حال كل الذي يجري هنا سواء كان متعلقًا بالقتلة أو اللصوص أو المجانين لا علاقة له بالغرفة ٢٠٧ ما دام لا يوجد أي نزيل بها.. هذا يطمئنني..

استندت على الكاونتر وأغمضت عيني..

هنا.. صحيح أن رائحة العطر قوية جدًا، لكنها هنا كانت أقوى وأقوى.. كانت تتزايد بلا توقف.. كانت تقترب.. عطر جديد يهزم العطر القديم مع أنهما من نفس الزجاجة.. الآن فقط أفهم سبب كراهية العطر لدى المتدينين.. هذا ليس عطرًا.. هذا عالم كامل من الشهوات والإغراء يدفعك إلى أن تنزلق وتنزلق لأسفل إلى ما لا نهاية.. لا وقت للتوقف.. لا وقت للتعقل.. هذا سلاح ماض بتار من ترسانة أسلحة الرذيلة.. لا أحد يقدر على مقاومته.. لا أحد.. يجب أن يُحرَّم.. يجب أن يقطعوا رقبة بائعيه..

كانت هناك تنظر في عيني مباشرة.. عينان بنيتان واسعتان صريحتان..

تقول لي:

«ساعدني أرجوك.. أنت تعرف أنه سيجدني في النهاية.. أرجوك.. أنت تعرف أنه مجنون وأنه سيقتلك بي..»

قلت لها وأنا أحاول ألا أفقد الوعي:

«سوف.. سوف أفعل ما تريدين.. لكن قولي لي ما هو..»

قالت وهي تنظر إلى الخلف في ذعر:

«هل عندك مخبأ مناسب..؟.. مخبأ لا يخطر له ببال؟»

القصة واضحة.. هذه زوجة.. زوجها هو ذلك المجنون الذي هددني منذ قليل.. سوف يفتك بها بسبب الغيرة. الثيران لا تقتل إلا لهذا السبب.. لو كان ذكيًا لبدأ بمنعها من استعمال هذا العطر المخدر..

فكرت في الغرفة ٢٠٧.. لو توارت هناك فلن يجدها، لكني قدرت أنني أذكى من هذا.. القصة مناسبة جدًا كي يحدث لها شيء مخيف.. كارثة.. لا.. لن أجازف..

كان هناك مخرج جانبي للحريق.. معي مفتاحه لحسن الحظ..

اتجهت إلى المخرج الواقع في أقصى الركن الأيمن من اللوبي، وقلت لها:

«يمكنك أن تتواري هنا.. لا تحاولي الخروج من هذا الطريق لأنه سيكون بالغ التعقيد.. سوف تتعثرين في خراطيم وفئران وصناديق ورقية.. فقط ابقي هنا إلى أن أخرجك»

لم تكن في حال تسمح بالرفض أو الخوف من الفئران، هكذا أغلقت الباب عليها.. أغلقته بالمفتاح في الواقع.. أنا الآن أستحق الرصاصة التي ستفجر رأسي أو الطعنة التي ستمزق شرياني السباتي..

هنا دق جرس الهاتف.. هرعت إلى الكاونتر.. يا رب لتنته هذه الليلة.. لتنته بأي شكل!

إنها نزيلة الغرفة ٢٠٧ تطلبني!..

الجميل في الموضوع هو أنه لا يوجد نزلاء في الغرفة ٢٠٧!

●●●●●

الماء كان ينساب بالداخل.. يمكنك سماع صوته بسهولة..

قرعت الباب مرتين فسمعت من يقول:

«أدخل..»

الباب مفتوح.. الماء كان ينساب تحت باب الحمام.. بركة صغيرة توشك على أن تغرق البساط وكل شيء.. لم يكن هناك أحد في الغرفة.. فقط تلك الرائحة القوية العطرية التي

صرت أميزها على بعد أميال.. وسمعت تكتكة ساعة فرفعت رأسي.. كانت ساعة الحائط إياها على الجدار تنتظر..

وتحسست صدري لسبب ما.. وجدت القلادة معلقة هناك!.. القلادة اللعينة التي انتزعها ذلك الرجل مني وألقاها على الأرض!.. ما معنى هذا؟

سمعت من وراء باب الحمام صوت امرأة يقول لي:

«تعال»

تعال؟.. سيكون هذا أغرب طلب سمعته.. هكذا أزحت الباب وأنا أعرف ما ينتظرني.. لا يوجد أحد في الغرفة حسب أوراقي لكن فيها أحدًا حسب حواسي.. إذن ما سأجده وراء الباب هو هيكل عظمي أو جثة مقتولة في مغطس الحمام.. لن تقدم لي الغرفة ٢٠٧ ما هو أفضل..

لكن الغرفة كانت بالفعل تحتفظ لي بمسرة بسيطة.. في المغطس بفقاقيع تغطيها على طريقة (هند رستم) كانت الزوجة.. الزوجة التي ساعدتها على الهرب من مخرج الحريق..

كانت تنظر لي في ثبات وهي تبتسم..

مددت يدي في خفة وانتزعت سدادة (الفايظ) التي تمنع مياه المغطس من أن تغرق الأرض.. على الفور بدأ مستوى الماء في المغطس ينخفض وتوقف الشلال الذي يهدر على الأرض..

قالت في دلال:

«أنت بارع جدًا.. سريع البديهة.. لكنك بهذا تجعلني مكشوفة يا (شقي)!.. الماء ينخفض.. هل ترى؟؟ إنه ينخفض»

يا فتاح يا عليم!.. لو كنت أنوي أن أستسلم للإغراء فليس بهذه السهولة وليس هنا والآن.. ليس في الغرفة ٢٠٧ ومع امرأة لا أعرف كيف دخلتها.. أخذت شهيقًا عميقًا وخرجت من الحمام، وعلى الجهة الأخرى من الباب أعطيتها ظهري وقلت لها:

«أود سؤالك عن كيفية دخولك هذه الغرفة..»

لم ترد.. فعدت أكرر السؤال..

في اللحظة التالية وجدت شيئًا يوضع حول عنقي!.. نظرت له فوجدت أنها القلادة!.. القلادة توضع على عنقي برغم أنها كانت حوله فعلًا!

كانت تقف ورائي وهي ترتدي روبًا خفيفًا، وقد فعلت هذا على سبيل الدعابة.. ثم اتجهت إلى الكومود فأخرجت زجاجة عطر وراحت تسكبه على نفسها ثم أمرقت بعض القطرات علي وهي تضحك..

هو ذات العطر الكاسح.. أعرفه جيدًا..

«كيف دخلت هذه الغرفة ومتى؟»

قالت في لا مبالاة:

«أنت تطيل الأسئلة وتفقد جمال اللحظة..»

«تركتك في مخرج الحريق.. لا تقولي إنك غادرته..»

عادت تقول وهي تمشط شعرها أمام المرآة:

«لا أفهم ما تقول.. دعك من هذا الهراء وقل لي: هل أعجبك؟»

«كيف دخلت الغرفة؟»

«أنت أعجبتني منذ اللحظة الأولى.. لم تكن هذه سوى وسيلة للانفراد بك»

قلت في عصبية:

«سيدتي.. سوف يعود زوجك خلال دقائق.. ولم يبق سوى هذا الذي تفعلين كي يطير أعناقنا.. لا أبالي بعنقك كثيرًا لكن عنقي يهمني..»

ومددت يدي أحاول انتزاع القلادة، فصاحت في جزع:

«لا تفعل.. أرجوك أن تتركها..»

ثم أضافت وهي تضع أصبعها على ثغري:

«زوجي ليس هنا.. لقد خرج.. لكنه سيعود وعندها تنتهي روعة اللحظة.. هل تفهم هذا؟.. الغيرة الدائمة هي الطريقة المثلى لتجعل امرأتك خائنة.. عندما تشك فيها طيلة الوقت وتعذبها وتضربها، فإنها تقرر أن تكون معاناتها ذات سبب.. أن تستحق ما تظنه بها.. ألم تقرأ قصة الجني والجارية في افتتاحية ألف ليلة وليلة؟.. هذه القصة التي جعلت شهرزاد يقرر ذبح النساء جميعًا..»

قلت وأنا أتجه للباب:

«هناك عنق واحد يقلقني أمره الآن..»

ثم أضفت وأنا أفتح المقبض:

«أمامك ثلاث دقائق لمغادرة هذه الغرفة.. هي ليست من حقك.. أنت لست نزيلة عندنا..»

قالت بطريقتها غير المبالية:

«كف عن هذه الهلاوس..»

أغلقت الباب وعدت إلى الكاونتر..

ثمة ملاحظة غريبة أرجو ألا تثير جنونك: القلادة لم تعد حول عنقي!.. رائحة العطر لم تعد موجودة!..

هنا فقط بدأت أفهم.. وجلست لأن قدمي لم تعد تحملني..

ساعة تصدر جلبة.. القبض على رجل في الشارع وطلقات رصاص ورجل يجري.. قلادة على الأرض ثم رجل يهددني وينزع القلادة.. ثم زوجة خائفة تطلب أن أخفيها.. ثم زوجة وحيدة في غرفة ٢٠٧ تحاول إغرائي وتعطيني القلادة وترشني بالعطر...

لو تصورنا أن الرجل الذي يظهر في كل هذه الأحداث هو الزوج الغوريلا.. لأمكن أن تفهم.. رتب الأحداث بالمقلوب تصير منطقية تمامًا: زوجة وحيدة في غرفة ٢٠٧ تحاول إغرائي وتعطيني القلادة وترشني بالعطر... ثم زوجة خائفة تطلب أن أخفيها لأن زوجها يطاردها.. الزوج يهددني لأنه وجد القلادة وينتزعها.. الزوج يجري.. أنا وجدت القلادة على الأرض.. من الواضح أن الزوجة غادرت الفندق عن طريق مخرج الحريق برغم نصائحي.. ثم تدوي طلقات رصاص لأن هذا الرجل قتل زوجته.. ثم القبض عليه في الشارع..

ما حدث الليلة هو أنني عشت قصة مقلوبة.. عشتها من نهايتها..

كنت أرتجف من فرط الانفعال.. لماذا حدث هذا؟.. كيف؟.. أعتقد أن الأمر يتعلق بالساعة المعلقة على جدار الغرفة ٢٠٧.. يسهل أن تتوقع أنها تدور بالمقلوب، ومن ثم وقعت الأحداث بالعكس..

لكن كيف أثبت نظريتي؟

في هذه اللحظة شممت رائحة عطر الزوجة المميز.. رأيت أمامي الزوج الغوريلا وزوجته معه.. كانت تبتسم وتراقبني في ثبات.. أما هو فكان فظًا كالعادة وقد قال لي في حزم:

«سمعنا أن عندكم غرفة تطل على البحر.. أحد أصدقائي قال إنها ممتازة.. الغرفة ٢٠٧... هل هي خالية؟»

تلك هي بداية كل شيء إذن.. نزيلان ظريفان سوف يقيمان في الغرفة ٢٠٧.. ومن هنا يبدأ مسلسل الأحداث التي وقعت بالفعل.. الفارق هو أنهما يطلبان الغرفة بعد ما أقاما فيها!

الزوجة تهمس في أذن زوجها بصوت أسمعه أنا:

«هل ستتمكن من تعليق ساعة الحائط التي معك؟»

قال في فظاظة:

«طبعًا.. لابد من مسمار على الجدار في مكان ما»

قالت همسًا:

«فكرة غريبة أن تحمل معك هذه الساعة إلى كل مكان»

«أنا أتفاءل بها.. ما المشكلة؟»

ونظرت لي في ثبات.. تدرس كل شيء فيّ.. وأحسست بعينيها..

طبعًا كانت القلادة هناك..

ابتعدا متجهين إلى المصعد بينما جلست أنا لأن ساقي ترتجف بلا انقطاع..

طبعًا لو صعدت الآن إلى الغرفة فلن أجدهما.. لن أجد ساعة على الجدار.. لن أجد أي شيء.. نظرت إلى الدفتر فوجدت البيانات التي كتبتها حالاً قد تلاشت..

أعتقد أن علي أن أحاول النوم.. أحاول أن أغمض عيني قليلاً قبل أن ينفجر رأسي من ألاعيب هذه الغرفة.

ما رأيك يا عم جمال؟

لقد انتهى الأمر..

لم يعد أحد مستعدًا للمزاح.

(رامي) و(صلاح) و(عزة) قالوا لي إنهم لن يتحملوا أكثر.. فما رأيك يا عم جمال؟

*****

دعوني أتكلم يا شباب فلا تجرفني عصبيتكم ولا يقودني حماسكم إلى ارتكاب حماقات..

أعرف أن الأمر غريب ومروع، لكني لا أريد الوصول إلى استنتاجات خاصة وأن هذه الغرفة لم تظهر طبعًا كهذا من قبل.. ما أشعر به أنها تتسلى لكنها لا تؤذي غالبًا..

كلنا كان يحب (علي) وكان هو رمز التفاؤل في الفندق.. هذا الفتى القادم من الصعيد كان ظريفًا مفعمًا بالحيوية، وكانت كل كلماته دعابات مرحة جدًا، وكانت (عزة) خطيبته.. أعرف هذا.. أعرف أنه كان ساهرًا في الاستقبال عندما اتصل به أحدهم يطلب مساعدته في الغرفة ٢٠٧..

لقد نهض وبحث عمن يقوم بهذه المهمة فلم يجد.. كان وحيدًا في الاستقبال تمامًا، وهكذا قرر أن يصعد بنفسه..

عرفنا هذا لأنه قابل (الزيني) عامل النظافة عند مدخل المصعد، وقال له إنه ذاهب للغرفة ٢٠٧، لأنه لا يتوقع أن يتمكن الزيني من حل المشكلة.

كانت هذه آخر مرة رأوه فيها حيًا.

بعد ساعتين فتح الزيني دفتر النزلاء وراجع الأسماء، هنا فطن لحقيقة مروعة هي إنه لا يوجد نزلاء في الغرفة ٢٠٧!.. من اتصل بالفتى؟.. واضح أنه تلقى المكالمة بشكل آلي دون أن يفكر..

هرع الزيني إلى الطابق الثاني وطرق باب الغرفة عدة مرات، فلم يرد أحد. أزاح الباب قليلاً ونظر في الظلام فلم يجد شيئًا..

أضاء النور وبحث عن الفتى الصعيدي المختفي.. لا يوجد أحد..

لكنه رأى قطرات دم على الأرض..

شعر بالذعر وكاد يغادر الغرفة وليته فعل.. هو يتمنى لو كان فعل هذا.. لو أنه لم يرفع عينيه إلى أعلى ليرى الفتى (علي) معلقًا من مروحة السقف.. حبل يربطه إلى قطعة الحديد البارزة من السقف التي يطلقون عليها اسم (جنش).

كان علي ميتًا يتأرجح ككل الموتى.. شاخص العينين.

أما الأهم فهو أن بطنه كانت مجوفة.. لم تكن هناك أحشاء على الإطلاق..

●●●●●

أعرف أن الشرطة لم تصل لأي شيء.. كانت هناك شكوك حول الزيني نفسه، لكنها شكوك على سبيل الروتين ولم تؤخذ بجدية. فالفتى ليس بالقوة التي تسمح له بتعليق شاب ضخم مثل علي في السقف. دعك من أنه لا يوجد حافز على الإطلاق..

كانت الحيرة والذعر على الوجوه، ولكنهم نظروا إلي وأنا أجلس جلستي المعتادة المسنة والقلنسوة الصوفية على رأسي. قلت لهم إنني أعرف وأفهم.. هذه الغرفة ٢٠٧ تفعل أشياء كهذه.. صحيح أنها لم تتطرف لهذا الحد من قبل، لكنه مفهوم..

هكذا انهالت على الأسئلة..

هكذا قررت أن أحكي وقد شعرت أنني تحررت من عهدي القديم للخواجة (مايكل). حكيت لهم كل شيء وهذه المرة يبدو أنهم صدقوني..

بالطبع لم تسمع الإدارة بشيء من هذا. من سمعني هم شباب الفندق.. الأجيال الجديدة التي راحت تفتش في ذاكرتها عن ذكريات مماثلة. هناك من تذكر أنه تعثر أمام هذه الغرفة يومًا ما!.. هناك من تذكر أن إصبع قدمه التوى.. قصص كثيرة خرجت للسطح معظمها كلام فارغ طبعًا..

«ولماذا تفعل الغرفة هذا؟»

«أرجح الاحتمالات عندي أن شيئًا مدفونًا في جدرانها يحاول التحرر.. اقتربت كثيرًا من هذا الشيء عندما جرت عمليات تجديد لها..»

قالت لي (عزة) وهي تبكي:

«يجب أن نفعل شيئًا.. هذه الغرفة لن تؤذي واحدًا آخر..»

قلت لها وأنا أحاول أن أتبين وجهها وسط كل هذه الغشاوة التي تغطي عدستي عيني:

«نحن فكرنا في أشياء كثيرة عندما كنا نحن المسيطرين على المكان، ولم نفعل أي شيء..»

لكننا سنفعل..

قالها الشباب في حماس.. سوف ندمر هذه الغرفة، لكن ما رأيك أنت يا عم جمال؟

●●●●●

وعندما جاء منتصف الليل كانوا ساهرين.

النزلاء قد غابوا في غرفهم، وأطفئت معظم الأنوار.. في الساء يدوي صوت موسيقا حالمة قادمة من عدة سماعات متناثرة هنا وهناك لكنها زادت من توتر الجو..

أنا لم أنم وجلست مستندًا إلى عصاي أرمق ما يدور من حولي..

يهبط المصعد، ويدخل فيه (رامي) و(صلاح)، لكنهما ليسا وحدهما.. معهما أنبوبتان من غاز البوتان.. غاز البوتاجاز.. ثم يغلق الباب عليهما ويرتفع المصعد..

لن تكون (عزة) معهما.. ستنتظر هنا..

قلت لهما إنهما مجنونان، لكن (صلاح) قال لي إنه رأى انفجار أنابيب البوتاجاز من قبل. سوف يدمر الانفجار الغرفة لكنه لن يأتي على أية غرفة مجاورة. سوف ينهار السقف وتتداعى الجدران لكن لن يبلغ الضرر درجة إيذاء الفندق.

الغرفة ٢٠٧ ستتحول إلى كومة من الأنقاض، وعلى الأرجح لن يرممها أحد. سوف تغلق للأبد.

قلت بصوتي الواهن:

«لكن هناك شرطة وتحقيقًا.. لن يمر الأمر بسهولة فنحن لا نعيش في الصحراء»

قال (رامي) في ثقة:

«هذا صحيح لكنهم لن يعرفوا أبدًا من فعلها.. لم يرنا أحد سواك ونحن نفعل ذلك ونحن لن نترك أي أثر.. لو لم تتكلم أنت لكان عليهم أن يسجنوا كل العاملين في الفندق.. فهل ستتكلم يا عم جمال؟»

قلت وأنا أشعل لفافة تبغ بيد ترتجف:

«لن يطلب أحد شهادتي.. فهم يعرفون إنني لا أرى تقريبًا»

والواقع إنني كنت معهم قلبًا وقالبًا.. لقد حان الوقت كي تذهب هذه الغرفة اللعينة إلى الجحيم.. ربما لم أجسر أنا على عمل ذلك لكن هناك من يجسر..

إنها مكان شرير، والأماكن الشريرة يجب أن تزول إلى غير رجعة..

لهذا جلست مع (عزة) صامتين وانتظرنا.. سوف يعود الشابان حالاً فيغادر الجميع الفندق وأبقى أنا على الكاونتر بانتظار سماع صوت الانفجار من أعلى. سوف يصيبني الهلع وأطلب الشرطة والمطافئ..

ما سيفعله الشبان بسيط جدًا.. سوف يشعلان شمعة طويلة ويقومان بغلق الشرفة جيدًا، ثم يفتحان صمامي الغاز ويتأكدان من غلق الغرفة، قبل أن يفرا.. إن هي إلا خمس دقائق أو عشر حتى يصل الغاز كريه الرائحة إلى اللهب وعندها ينفتح الجحيم..

جرس الهاتف يدق..

رفعت السماعة فجاء صوت (رامي) يقول:

«هلا أرسلت (عزة) هنا؟.. ثمة مشكلة..»

«مشكلة في إيقاد شمعة؟»

«لا.. لا وقت للشرح. فقط قل لها أن تأتي وابق حيث أنت»

قلت لـ (عزة) إنهما يريدانها في الغرفة ٢٠٧ فنظرت لي في قلق.. ثم إنها نهضت وهرعت إلى المصعد. لا أعرف نوع المشكلة التي تحتاج إلى أنثى ولا يقوم بها رجلان.. العناية بطفل أو تطريز مفرش أو طهي بعض الكوسة.. هذا هو ما أتخيله ولا علاقة له بتفجير غرفة على ما أعتقد..

انتظر..

انتظر..

قطار ذكرياتي مع الغرفة.. مع الفندق يتسارع في ذهني..

عندما كنت شابًا قويًا.. عندما كنت رجلاً مفعمًا بالرجولة.. الخواجة مايكل ومصطفى وعم مينا.. عشرات الوجوه التي جاءت ورحلت في حياتي..

جرس الهاتف يدق من جديد..

«ألو؟»

جاء صوت رجل منزعج:

«أنا نزيل الغرفة ٢٠٨.. هناك رائحة غاز قوية في الطابق كله. هلا أرسلت من يتأكد؟»

«حسن..»

أين ذهب هؤلاء الحمقى؟.. واضح أنهم فتحوا الصمامين فلماذا لم يظهروا؟.. ماذا ينتظرون؟

هكذا نهضت متثاقلاً واستندت إلى عصاي وأنا أتجه إلى المصعد. ضغطت على زر الطابق الثاني.. انفتح الباب فخرجت إلى الرواق الرهيب الذي مشيت فيه مئات المرات في حياتي..

كان باب الغرفة موصدًا.. حاولت فتحه عدة مرات فوجدته مغلقًا.. بالفعل كانت رائحة الغاز تنتشر من تحت الباب.. هم أنجزوا مهمتهم وفروا إذن..

لماذا لم أرهم وأنا في الاستقبال؟ لأنني كنت نائمًا بالطبع.. الشيوخ ينامون في مقاعدهم مائة مرة في الساعة ويقسمون أنهم لم يغمضوا العيون لحظة. لكن لماذا لم يوقظوني ليقولوا إنهم قاموا بالمهمة؟

المشكلة أن الانفجار سيدوي في أية لحظة الآن وعلي أن أبتعد..

هنا انفتح باب الغرفة ٢٠٨ وظهر رجل.. اقترب فعرفت أنه رجل يلبس منامة وبادي القلق، وقد قال لي:

«ألم تعرف مصدر الرائحة بعد؟»

قلت له في حزم وأنا أبتعد عن الباب:

«سأتصل بعمال الصيانة.. فقط ادخل حجرتك ولا تخرج منها..»

قال في عصبية:

«هذا ما قالته الفتاة وهي تدخل الحجرة منذ دقائق..»

«أنت رأيت الفتاة تدخل؟.. إذن كانت هناك رائحة غاز وقتها؟»

«نعم.. دخلتْ ولم تخرج ثانية.. قرعتُ الباب مراراً فلم يرد أحد»

معنى هذا أنهم بالداخل!

هكذا صحت في الرجل:

«تعال.. ليس المفتاح معي.. يجب أن نقتحم هذا الباب معًا..!»

نظر لي وأدرك أنه من المستحيل أن يكون لي دور، وهكذا هرع إلى حجرة مجاورة فعاد مع رجل مفتول العضلات وتعاون الرجلان على اقتحام الباب.

بسرعة!.. سوف يدوي الانفجار في أية لحظة!

بسرعة!

أخيراً انفتح الباب.. ورأيت الغرفة من الداخل في الظلام.. رائحة الغاز تملأ كل شيء..

كاد أحمق ما يشغل النور الكهربي، لكني صحت:

«لا تفعل!... قد تنبعث شرارة!»

لم تكن هناك شمعة.. لهذا تأخر الانفجار..

هرع أحدهم يفتح الشرفة ويغلق صمامي الغاز، ونظرت إلى الفراش لأجد عزة راقدة هناك وفي يدها شمعة. كانت غائبة عن الوعي.. على الأرض وجدت الشابين غائبين عن الوعي كذلك..

كان الهواء قد بدأ يملأ الغرفة فأضأت النور بحذر. تفحصت الشابين على الأرض فوجدت قطعة قرميد جوار رأس كل منهما.. الفتاة كذلك كانت هناك قطعة قرميد جوارها على الفراش.. نظرت للسقف وعرفت مصدر هذه الحجارة. لقد أعدت الغرفة انتقاماً مروعًا.. عندما فتح الشابان صمام أنبوب الغاز وأشعلا الشمعة هوى حجر على رأس كل منهما ليفقدا الوعي، وتم استدعاء الفتاة ولا تسل من استدعاها.. عندما دخلتْ الغرفة هوت قطعة حجر ثالثة على رأسها.. وانغلق الباب بإحكام.. هكذا صار محكوماً على الثلاثة بالإعدام، غير أن عزة استطاعت أن تجد من الوعي ما يسمح لها بأن تطفيء الشمعة قبل أن تغيب عن الوعي.. كانوا سيموتون اختناقاً لكنها ميتة أبطأ من أن تتناثر أجزاؤهم في الانفجار..

طلبت من الرجلين أن يخرجوا ثلاثة الشبان.. أن يحاولوا إفاقتهم.. ألا يقلقوا علي..

وعندما جروا آخرهم إلى الخارج أغلقت الباب على نفسي بالمزلاج..

أغلقت النور ووقفت أنتظر..

في مكان ما هنا يكمن السر.. يجب أن أعرف..

أيتها الغرفة ٢٠٧.. أنا هنا وحدي في الظلام.. وحدي.. عجوز واهن عاجز عن المقاومة..

فلتفعلي ما تريدين..

ومن خلال المرآة أرى ذلك الشيء.. أراهم يتحركون.. يتبخرون ويتكاثفون ويتجمدون ثم يتبخرون ثانية..

نحن لا نريد أن نؤذيك...

هذه الغرفة بنيت في موضع فجوة.. فجوة تقود إلى عالم جحيمي شيطاني لا يمكن وصفه. وهذه الفجوة هي عبر زجاج المرآة.. لهذا لم يتغير شيء عندما تم تجديد الغرفة لأن المرآة عادت لها..

من هذه الفجوة يأتون لنا ويعيشون ثم يرحلون..

نحن لا نريد أن نؤذيك...

نعم.. قتلناهم منذ دهور.. لكن من قال إن الرغبة [illegible]

التقطت من فوق الكومود رزمة الأوراق والقلم ورحت أخط هذه الكلمات التي تقرؤها الآن. أكتب بصعوبة بسبب وهن بصري لكنني أكتب.. ربما يهوي حجر على رأسي في أية لحظة لكنهم قالوا إنهم لا يريدون إيذائي.. ربما لا يفعلون..

أرفع رأسي فأراهم يبرزون من سطح المرآة ثم يتوارون فيه.. يتلصصون..

نحن لا نريد أن نؤذيك...

سوف أنتهي من الكتابة فأضع الورقة في مظروف سميك وأخرج للشرفة لألقيه في الشرفة المجاورة، ثم أغلق الشرفة بإحكام.

سوف أعود للغرفة.. أشعل الشمعة من جديد..

أتجه إلى أنبوبتي الغاز فأفتحهما من جديد..

سوف أتناول الأباجورة لأهشم بها زجاج المرآة... وعندما يتناثر الزجاج مع السر سوف يدوي الانفجار. ورهاني على أن الفجوة سوف تغلق عندما يضحي إنسان بنفسه من أجل ذلك..

هناك سبب آخر قد يبدو مضحكًا سخيفًا.. أحيانًا أعتقد أن الغرفة ٢٠٧ وليدة عقلي أنا وإذا انتهى عقلي انتهت الغرفة معه..

لن يفتقد أحد عجوزًا بلا أسرة وشبه كفيف..

لكنني سأقدم خدمة لأجيال قادمة لن يحدث لها شيء في هذه الغرفة..

جمال الصواف ينهي أسطورة الغرفة ٢٠٧...

هذه نهاية تروق لي كثيرًا جدًا.

جمال الصواف



الفهرس

الفهرس